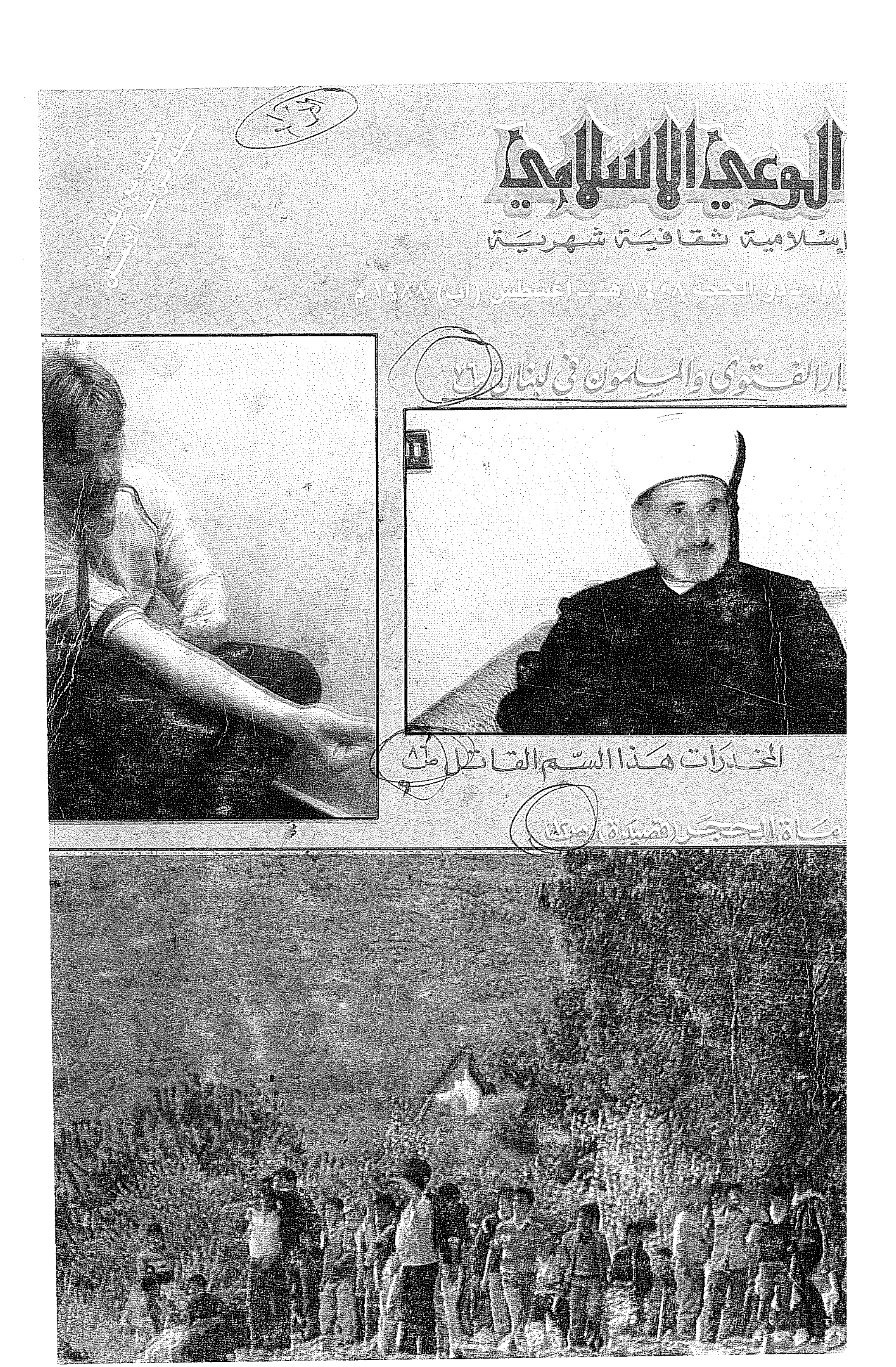
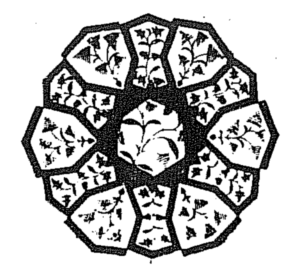
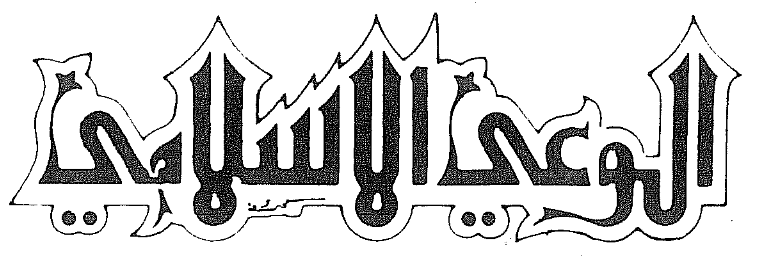

الوعي الإسلامي
إسلامية ثقافية شهرية
٢٨٧ ـ ذو الحجة ١٤٠٨ هـ ـ اغسطس (آب) ١٩٨٨ م
ار الفتوى والمسلمون في لبنان ص ٢٦
المخدرات هذا السم القاتل ص ٨٦
ماة الحجر (قصيدة) ص


محتويات العدد





AL-WAIE AL-ISLAMI

العدد ٢٨٨ ـ ذو الحجة ١٤٠٨ هـ ـ اغسطس (آب) ١٩٨٨ م

تصدرها

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها

المزيد من الوعي ،

وايقاظ الروح ،

بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية .

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي
ص.ب : (٢٣٦٦٧) الصفاة
دولة الكويت
الرمز البريدي 13097

هاتف ٢٤٢٨٩٣٤-٢٤٦٦٣٠٠

الثمن

البلد	الثمن
الكويت	٢٠٠ فلسا
جمهورية مصر العربية	٣٥٠ مليما
السودان	١٥٠ مليما
السعودية	ريالان
دولة الامارات العربية	٣ دراهم
البحرين	٢٠٠ فلس
تونس	٢٥٠ مليم
الاردن	٢٠٠ فلس
اليمن الشمالي	ريالان
قطر	٣ ريالات
سلطنة عمان	٢٠٠ بيسة
المغرب	٤ دراهم

بقية بلدان العالم
ما يعادل ٢٥٠ فلسا كويتيا



كلمة الوعي

ليشهدوا منافع لهم

كل مناسك الحج أداؤها يعتمد على الايمان القوى والتسليم النقي ، من شوائب الشك أو التردد ، ومن فضل الله ان جعل الحج عبادة تمحص الايمان وتعمق مفهومه ، ليسارع العبد مستجيبا لأمر ربه ، إيمانا وتصديقا بأن لله شعائر يتعبد بها الناس سواء أدركوا سرها أم لم يدركوها ، وبكل الرضا والاقتناع يسابقون إلى تعظيمها ، كما طلب الله تعالى ذلك في قوله « **ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب** » الحج/ (٣٢) .

وبقدر الامتثال للأمر يكون الأجر والمغفرة ؛ فترى الحاج يقيم ويرحل ، ويخيم ويقلع ، من غير ارادة ودون اختيارمادام طوع إشارة المعبود ورهن أمره ، فهو يلتزم بعدد محدد لا يتجاوزه ولا ينقص منه حال طوافه او سعيه ، وهو ينزل بمنى ثم يؤمر بالانتقال إلى عرفة ، وبعد الوقوف يؤمر بالافاضة فلا يتأخر للراحة ، ولا يسمح له بصلاة المغرب في عرفه ، ولا يصليها إلا في المزدلفة جمعا مع العشاء ، إلى غير ذلك من أوامر يؤديها طوعا وولاء ، ومحظورات لا يقربها خوفا وامتثالا ، وفي هذا يقول الامام الغزالي في كتابه احياء علوم الدين :«واجبات الشرع ثلاثة

أقسام ، قسم هو تعبدى محض ، لا مدخل للحظوظ والأغراض فيه ، فمقصود الشرع فيه الابتلاء بالعمل فيظهر العبد رقة وعبودية بفعل ما لا يعقل له معنى .. » ولعل الرسول صلى الله عليه وسلم قد أحس ببعض الخواطر تحوم حول المناسك في الحج ، وببعض علامات الاستفهام من بعض العقول التي تبحث عن الحكمة في التعبد بها ، فوجه الانظار إلى جانب التسليم المطلق بقوله :"لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا » إذ الشأن في العبادة ان تقوم على التسليم وتؤدي بايمان واذعان ، هذا المبدأ عبر عنه عمر رضي الله تعالى عنه ، وهو يقبل الحجر الأسود مؤكدا في صراحة ، أنه ليست للنفوس حاجة في تقبيل ما لا يضر ولا ينفع ، ولكنه الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم القائل :«خذوا عني مناسككم » فهو القدوة ، وهو الذي نزل فيه قول الله تعالى « **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم** » آل عمران/ ٣١ .

هذا ، وإن كان في بعض التشريعات جوانب خفى وجه الحكمة فيها ، فالاسلام يبيح للعقول ان تبحث عن الحكم والأسرار ، ما دام الله سبحانه قد أذن لها بالنظر والتفكر والتدبر ، في حدود ربط المخلوق بالخالق ، وتنمية الصلة به واخلاص العبادة له ، ومن هنا تداول الباحثون الرأي حول المنافع المشاهدة في الحج ، في جو الآية الكريمة « **وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق.ليشهدوا منافع لهم** .. » الحج/ الاية ٢٧ ، ٢٨ .

وقد ذهب كثير من العلماء إلى أن المنافع كلمة شاملة لكل منفعة دينية أو دنيوية ، وأن من المنافع المشاهدة ، منفعة أهل الديار المقدسة ، بخير يغدقه الله عليهم في موسم الحج استجابة من الله لنبيه ابراهيم عليه السلام « **ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون** » ابراهيم/ ٣٧ .

ومنها منفعة ضيوف الرحمن ، وهم يتلقون في ارض النور دروس التعاطف والتراحم ، والاحساس بقيمة المساواة ، وقد تجردوا من زينة الدنيا وصنعة الحياة ، يعرفهم ذلك بحقائق نفوسهم فيتصاغر فيهم الغرور ، ويخزى فيهم صوت الاستعلاء والتكاثر والمباهاة ، فلا تفاوت في اللباس ، ولا قيمة للرتب والألقاب ، بل الكل محتاج لعفو الله ورضاه ، ومن المنافع ، استدامة ذكريات اسلامية خلدها الاسلام وستبقى ماثلة في نظر الأمة وضميرها إلى يوم الدين ،

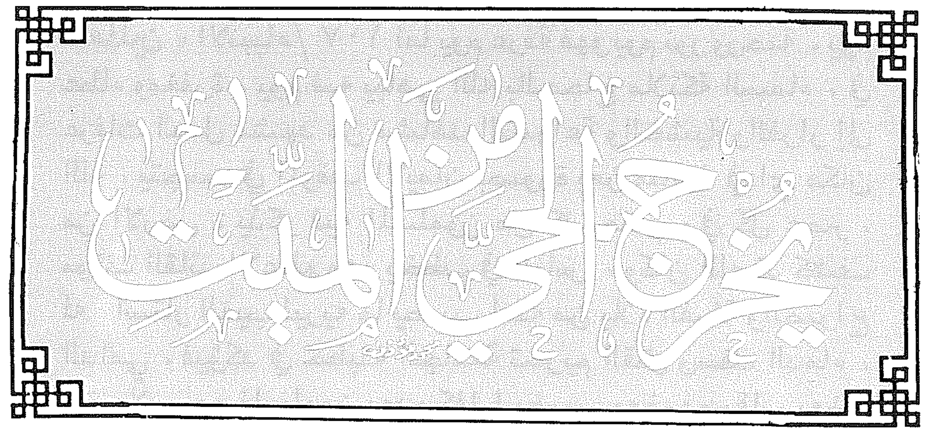
فمن خلال الطواف نتعلم قواعد النظام ومنهج الوحدة، فالطائفون يبدأون الأشواط من الحجر الأسود ثم ينطلقون في اتجاه واحد ، في صورة تشهد للاسلام بأنه دين النظام ودين الحياة ، كما انهم في طوافهم يذكرون طواف نبيهم وطواف ابيهم ابراهيم من قبل ، وان الطواف ماهو الا دوران القلوب حول قدسية الله رب الملك والنعمة ، ومن خلال السعي بين الصفا والمروة يستحضرون مواجهة هاجر للبلاء بالامل والرجاء ، يوم هرولت باحثة عن الماء، ترد به غلة طفلها الذي يهدده العطش بفراق الحياة ، واصلت السعي والانحدار بين الصفا والمروة ، فلم تجد الا سرابا يحسبه الظمآن ماء ، ومع حيرتها ولهفتها اسلمت نفسها وولدها لله الرحمن الرحيم ، وهنا اسعفهما الله بما رطب كبدهما ، وفجر ماء زمزم نبعا طاهرا ، ميمونا مباركا ، ورد الروح إلى الطفل وأمه التي آمنت بفرج الله ، يمثل هذا الموقف الحجاج والمعتمرون في سعيهم بين الصفا والمروة ، مؤمنين بان الفرج مع الكرب ، وان مع العسر يسرا ، وبوعد الله تعالى في قوله « **ومن يتق الله يجعل له مخرجا.ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا** » الطلاق /٢و٣ . كم في مناسك الحج من صور ايمانية تحقق معنى العبودية والاخلاص لله مالك الملك وواهب الوجود ، ففي الاحرام صورة التجرد من شهوات النفس ومضلات الهوى ، وفي الرمي صورة صادقة لمقت

عوامل الشر ووساوس الشيطان ، وفي الذبح اثارة لذكرى الفداء والتضحية ، وفيه فرحة ببشرى نجاة اسماعيل التي كانت مصدر الرحمة للعالم كله ، حيث جاء من نسله محمد عليهما الصلاة والسلام وصدق الله العظيم « **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** » الانبياء/ ١٠٧ اما يوم عرفة فهو يوم نور ورحمة ، يوم عطاء ومغفرة ، يوم فيه يباهي الله بالحجاج ملائكة السماء ، في عرفات أجمل مشهد من مشاهد الضراعة والخشية والفرار إلى الله ، يتجسد في الموقف الايمان بصورة يعز مثالها في اي مكان من الارض ، يذكر فيه المسلمون من كل جنس وفي كل عصر ، موقف القائد الاعظم وهو يخطب في الناس ، وكأن الله قد كشف له أستار الغيب ليريه ما يصيب امته من بلاء الفرقة والصراع الدامي ، فيؤكد في خطبته الجامعة تحريم القتل وسفك الدماء ، حتى لا يرجع المسلمون بعده كفارا يضرب بعضهم رقاب بعض ويقول :"ألا لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض » لعل شعوب المسلمين وحكامهم ينصتون إلى النداء المحمدي من جديد ، ويستجيبون له في صدق ، إخمادا لنار الفتن المثارة ، وإعادة للسلام من جديد ، في جو الحب والإخاء والأمن والصفاء ، على المسلمين في موكب النور على متن عرفات ، ان يتدارسوا قضية السلام الملحة في وحدة تقهر الطامعين وترد كيد المعتدين ، اما ماهو كائن من عزلة في الخيام من غير تعارف ودون تشاور في امر دينهم ودنياهم ، فهذا امر تضيع به المعاني المستوحاة من الحج ، وتفوت به فرص غالية من مشاهدة المنافع التي أشار اليها القرآن الكريم ، والله المستعان .

رئيس التحرير

حسن منّاع

من الإعجاز العلمي في القرآن



للأستاذ / أمين محمد عثمان

كان محمد صلى الله عليه وسلم نبيا أميا لا يعرف القراءة والكتابة ، وقد بعث الى قوم أميين نشأ في (مكة) حيث لم تكن هناك علوم ولا مدارس ولاجامعات ، تقرأ فيها العلوم الكونية والطبيعية ، كالذي حدث في (طيبة) عاصمة قدماء المصريين ، وفي (أثينا) عاصمة الاغريق .. يقول الله تعالى في الآية (٢) من سورة الجمعة :

(هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) .

وجاء في الصحيحين في حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال :

« إنا أمة أمية ، لا نكتب ولا نحسب ، الشهر هكذا وهكذا ، يعني مرة تسعا وعشرين ، ومرة ثلاثين» .

ومع ذلك فإن الحقائق العلمية التي أشار اليها القرآن الكريم ، لم تكن معلومة ، في القرن (السابع) الميلادي ، حيث بعث النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكتشف العلم أسرارها ، الا منذ عهد قريب .

ومن المعجزات العلمية التي أشار اليها القرآن الكريم ، هذه الآية الكريمة :

(يُخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون) الآية/ ١٩ من سورة الروم .

لقد اشتملت هذه الآية الكريمة على حقيقتين علميتين ، يخر لهما العلماء سجدا لله وهم داخرون ...

الحقيقة الأولى
إخراج الحي من الميت واخراج الميت من الحي

ولقد ظلت حقيقة (اخراج الحي من الميت) خافية على أذهان كثير من العلماء والباحثين يؤولها العلماء والمفسرون على حسب علمهم ومداركهم في الزمن الماضي .
ولم تكن قد وصلت الى أيديهم أجهزة ولا (مجاهر) تفحص الأشياء وتكشف أسرار الذرة أو الخلية ، ولم تكن لديهم (مخابر) يقومون بتجاربهم عليها ويستخلصون النتائج بل كانوا يخضعون نظرياتهم للحواس وكثيرا ما أخطأت الحواس .

(١) يرى «الجاحظ» صاحب كتاب (الحيوان) المشهور ، وهو من علماء القرن الثاني الهجري ان المنزل نظيف ، وهو خال من الحشرات ؛،

وان الفرش والوسائد يعلوها بعض التراب ، ثم نشاهد بعد مدة قصيرة (براغيث) قد نمت وأخذت تقفز هنا وهناك وحشرات قد ظهرت وأخذت تتجول في شقوق البيت وجدرانه ، فمن أين جاءت البراغيث ، وكيف ظهرت هذه الحشرات ؟

ويهديه تفكيره وهو العالم الألمعي الى أن يعلن في كتابه المذكور (الحيوان)_ فكرته عن المخلوقات :

وتتلخص هذه الفكرة ، في أن الكائنات الدقيقة ، والحشرات الموجودة قد تولدت بذاتها ، أو على الأقل خلقت من التراب وهو جماد لاروح فيه ولاحس .. واستمع الى (الجاحظ) يؤكد هذا الرأي في الجزء الثالث من كتاب (الحيوان) : «وقد أنكر أناس من العوام ، وأشباه العوام ، أن يكون شيء من الخلق ، كان من غير ذكر وأنثى ، وهذا جهل بشأن العالم ؛ وبأقسام الحيوان ، وهم يظنون أن من الدين الاقرار بهذا ، وليس الأمر كما قالوا .. ثم يقول (الجاحظ) :

وقد علمنا أن الانسان يأكل الطعام ، ويشرب الشراب ، وليس فيه حية ولا دودة ، فيخلق منها في جوفه أنواع الحيات ، وأشكال من الديدان من غير ذكر ولا أنثى ، ونحن قد نجد الجيف يخلق منها الديدان ، وكذلك العذرة ... وقد نجد وسط الوادي
وعلى ظهر المسجد الجامع ،
في غب المطر ، من الضفادع مالايحصى عدده ، وليس ذلك كان عن ذكر وأنثى ، ولكن الله خلقها في تلك الساعة من طباع تلك التربة .

ويقول (الجاحظ) في موضع آخر : « وكذلك القول في القمل الذي يخلق من عرق الانسان ، ومن رائحته ورشح جلده ، وبخار بدنه .. ... قالوا إن الذباب يتخلق من تلك العفونات والأبخرة والأنفاس ؛، فإذا ذهبت فنيت مع ذهابها ، ويزعمون انهم يعرفون ذلك بكثرتها في الجنائب وقلتها في الشمائل ، قالوا : ربما سددنا فم

الآنية التي فيها الشراب بالصمامة فاذا نزعناها وجدنا هناك ذبابا صغارا » .
وهذا مدى تفسير (الجاحظ) وقدامى المفسرين للآية الكريمة : (**يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي**) وطبيعي أن تكون هذه النظرية خاطئة ...

البيضة والفرخ

(٢) ويرى بعضهم أن البيضة ـ وهي (جماد) في رأي العين ـ تترك مدة الحضانة تحت الطائر ، ثم يخرج منها كائن حي هو (الكتكوت) أو (الفرخ) فيعلنون في تفسيرهم لهذه الآية الكريمة . ان الله خلق الفرخ وهو كائن حي .. من البيضة وهي جماد لا حس فيه ولا روح .. وتلك ايضا نظرية خاطئة .
(٣) ويرى بعضهم ان وعاء الجبن ، يغلق غلقا محكما ، يغلف سداده بالطين أو العجين ومايكاد يفتح بعد مدة حتى يروعهم ما في الجبن من (دود) فمن أين أتى هذا الدود ؟ واخيرا يعلنون أن هذا الدود قد تولد من الجبن نفسه وهذا عين الخطأ .. فلو أن أحدهم قد راقب وعاء الجبن جيدا لرأى ذبابة تحط عليه خلسة ، وتترك بيضها في الجبن ثم تغادره على حذر وتخوف من الرقباء ...

نقد ما ارتآه الجاحظ

أما ما ذهب اليه (الجاحظ) من أن الانسان يأكل الطعام ، ويشرب الشراب وليس فيه حية ولا دودة فيخلق منها في جوفه أنواع الثعابين والديدان من غير ذكر ولا أنثى .. فقد أبطل هذا المذهب .. ما أثبته الطب الحديث من أن هذه الثعابين وتلك الديدان .. انما تخلقت في جسم الانسان نتيجة بويضات (ميكرسكوبية) قد علقت في الطعام أو الشراب من ماء ملوث .. ولا سيما الخضروات والفاكهة التي لا تغسل جيدا قبل أكلها .. وينتج عن ذلك أمراض خطيرة تنهك جسم الانسان وتمتص دمه امتصاصا .. وتكون مصدرا خطيرا لنقل العدوى ولهذا نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البول في الماء الراكد .. ففي حديث رواه (البخاري ومسلم) عن أبي هريرة .. انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري ثم يغتسل فيه » .
ومن التعاليم الاسلامية التي لها علاقة بصحة الانسان .. تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير .. قال الله تعالى في الآية ١٧٣ من سورة البقرة :
(إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله) .
ان جثة الحيوان الميت مستودع لمختلف جراثيم التعفن التي توجد طبيعية في أمعاء الحيوان وتغزو جميع أجزاء الجسم بمجرد الوفاة عن طريق الأوعية الدموية واللمفاوية ، وبعض هذه الجراثيم تكون أثناء تكاثرها مواد ضارة كما تحدث مواد أخرى سامة نتيجة التحلل يظل مفعولها حتى بعد عملية الغلي ...

لحم الخنزير

ومن أخطر ما يحمله لحم الخنزير الى الانسان مرض (التينيا سوليم) وتسمى (دودة لحم الخنزير) وتصل الى الانسان من طريق أكل لحم الخنزير .. وهي من أشد الديدان فتكا بمن يصاب بها .. وتقرر كتب الطب : ان الاصابة بهذه الدودة تكاد تكون عامة في جهات خاصة من (فرنسا وايطاليا) ولكنها نادرة الوجود في البلاد الاسلامية ، لأن الاسلام يحرم أكل لحم الخنزير .. بينما أوروبا والبلاد الغربية تستبيحه ...
والمصاب بهذه الدودة يبلغ أشد حالات الضعف والهزال ، وتسبب له مع ذلك الأمراض المعدية ، وسوء الهضم ، والآلام المبرحة .. وتسبب للكبار ضعف الأعصاب، والكآبة النفسية كما تسبب للأطفال التشنجات العصبية وحول العين وغير ذلك من الأعراض الأخرى !

أليس الله رحيما حكيما لطيفا بعباده حينما يقول في الآية (١٤٥) من سورة (الأنعام) : **(قل لا أجد فيما أوحي إليَّ محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقا أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم)** .

جنين داخل البيضة

أما بيضة الدجاجة والطائر فانها لاتترك سدى بعد عملية التلقيح ، بل ان بداخلها جنينا حيا وضع الله له غذاءه في البيضة ، وهذا الغذاء مقدر بمقدار قوته ونموه ـ حتى اذا ما نفد الغذاء كان الفرخ قادرا على نقر القشرة وكسرها لم يعتمد في الغذاء على نفسه أو على أبويه ...

ونستطيع أن نقول ذلك في جنين (حبة القمح) وسائر الحبوب ، وقد وجد بالتجربة ، ان الأجنة في هذه الحبوب تستطيع أن تحتفظ بخواص نموها الى مدة طويلة قد تستمر اعواما وأزمانا .. وقد استطاع بعض العلماء ان يزرع بعض حبوب القمح التي وجدت في مقابر (قدماء المصريين) وأدهشه ان يجد هذه الحبوب قد نمت وأينعت واستوت ثمارها على سوقها ، وآتت أكلها بإذن ربها .
يقول الدكتور «محمد فياض» في كتابه (غرائز الحيوانات) :
« المعروف ان بيض (الجراد) لايفقس الا مع وجود الرطوبة التي لاتتوافر في أرض الصحراء ـ وهو عادة يضع فيها بيضه ـ ولكنه اذا ترك في الجفاف شهورا وسنين لم يتأثر اذ تظل الحياة كامنة فيه ، حتى تسوق المقادير قليلا من المطر ... وعند ذلك ينضج ويفقس ، وتمتلىء الصحراء بجيوش من الحشرات الفتاكة .. فتضيق بهم ذرعا ، وترسلهم الى العالم المتمدين .
وقد أجريت بعض التجارب على بيض الجراد ، فحفظ في صناديق معدنية جافة أربع سنوات ، ثم عرض للرطوبة ، ففقس وخرجت منه الحشرات ، وتدل التجارب على ان

البيض يبقى عشرات السنين في الجفاف دون أن تنعدم فيه الحياة » .

التأويل العلمي للآية

فما تأويل الآية اذن **(يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي)** ؟
ان هذه الآية تشير الى حقيقة علمية من أهم حقائق علم (الفسيولوجيا) (في العصر الحديث .. يقول الدكتور (محمد وصفي) :
« انها عملية تعرف بعملية (الميتابوليزم) وهي تصور عمليتي (البناء والهدم) في جميع الكائنات الحية ، التي تعيش على اليابسة أو الماء ، ويشمل ذلك الانسان والحيوان والسمك والنبات ...
ان جميع الكائنات الحية تحصل على غذائها من مواد ميتة تسري في أجسامها وبعد أن تهضم ينتهي بها المطاف الى سائر خلايا الجسم حيث تحيا وتصبح جزءا من أنسجة هذا الجسم الحي ومنها ينمو الكائن الحي ، ويتغير حجمه ويصل بعد ذلك الى نهايته المقدرة ، وأحسب ان هذا أقرب الى تفسير قوله تعالى : **(يخرج الحي من الميت)** -
وطبيعي بعد ذلك ان بعض خلايا الجسم تستهلك بصورة مستمرة وتعوض بالمواد الغذائية التي تحل محلها وتعمل على تكوين خلايا جديدة وهذه العملية يطلق عليها (عملية البناء) .
أما ما يتخلف عن موت الجسم فهو ما تصوره الآية الكريمة **(ويخرج الميت من الحي)** انها خلايا متخلفة لاضرورة لها فيتخلص منها الجسم وتسمى بذلك (عملية الهدم) .. ان أهم ما يجري في هذه العملية هو احتراق داخلي .. اذ تأخذ الخلية الحيوانية مثلا (الاوكسجين) وترد غاز (الكربون) والفضلات الميتة الناتجة عن هذه العملية تخرج من الجسم لأن معظم (غاز الكربون) يخرج مع التنفس ومعظم فضلات (النيتروجين) تخرج مع البول وكذلك يخرج غيرها اثناء التعرق» .

وجسم الانسان البالغ به ما يقرب من (٦٠) بليون خلية - هكذا قدر العلماء - وهم قد قدروا كذلك أنه يموت من جسم الانسان كل ثانية (٥٠) مليون خلية ، بينما يولد مكانها في الثانية (٥٠) مليون خلية ... وأعجب من هذا كله ان كل جرثومة أو خلية تحمل خصائص الجنس ، وطبائع النوع ، وأساليب الوراثة ، وخلق الادراك ، والحواس الظاهرة والباطنة ، كلا فيما خصص له والى ذلك تشير الآية الكريمة :
(ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) الآيات/ ١٢ - ١٤ من سورة المؤمنون .
ان العلم قد عرف الطريقة التي تجعل أنف الانسان مثلا يختلف عن خرطوم الفيل ، ففي جسم كل كائن حي نوعان من مواد التوريث ، ينطلق أحدهما في

عملية بناء وانتاج ، حتى اذا وصل شكل الجسم الى حالة معينة ، تدخلت مواد توريث النوع الثاني ؛ وأوقفت نشاط النوع الأول وقد أطلق على مواد توريث النوع الأول (مواد التوريث البانية) وأطلق على مواد توريث النوع الثاني (مواد التوريث المنظمة) .. فسبحان الخلاق العظيم **الذي خلق كل شيء فقدره تقديرا .. واعطى كل شيء خلقه ثم هدى** .

احياء الأرض بعد موتها

أما الحقيقة الثانية التي اشتملت عليها الآية الثانية فهي (احياء الأرض بعد موتها) .

ان مثل ما يحدث في الخلايا الحيوانية ، يحدث كذلك في خلايا النبات ، اذ تتحول عناصر التربة بعد ما تتصل بداخل البذرة ، الى خلايا وأنسجة حية ، ويصور ذلك تصويرا بارعا قوله تعالى :

(وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج) الآية/ ٥ الحج .

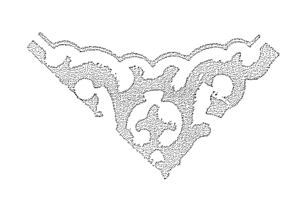
وقوله تعالى : **(ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير)** الآية/ ٣٩ من سورة فصلت .

ويرى الدكتور « محمد وصفي» في بحثه عن (القرآن والعلوم الحديثة) ان لفظ اهتزت يعني (دبت فيها الحياة)

وهو ما يحدث من تحول عناصر التربة بعد ما تصل إلى داخل البذرة ـ ثم تتحول إلى خلايا وأنسجة واعضاء حية .. وقد أخذ هذا المعنى من قصة

(عصا موسى) وهي جماد ميت ، قد تحولت الى (حية) حقيقية ذات خلايا وانسجة واعضاء حية .. وقد عبر القرآن عن هذا الاحياء بلفظ (الاهتزاز) قال الله تعالى في الآية (٩ ـ ١٠) من سورة النمل :

(يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى لاتخف إني لا يخاف لدي المرسلون) .





للأستاذ/ د . عماد الدين خليل

[١]

اذا كان (موريس بوكاي) ،: العالم ، الطبيب الفرنسي ، قد تحدث في كتابه المعروف (دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة) عن معجزة القرآن العلمية ، فان (ريجيس بلاشير) ، الباحث الناقد الفرنسي ، يحدثنا في كتابيه (القرآن) و(تاريخ الأدب العربي) عن الوجه الأدبي لهذه المعجزة التي أدهشت العقول وحيرت الألباب .

و(بلاشير) هو الآخر يتعامل مع القرآن من خارج دائرة الاسلام وبالتالي فإنه ، بمنهجه الاستقرائي و« بالجهد التجريدي » الذي بذله ؛ كما يقول هو نفسه ،لغرض الوصول الى إفراد الظاهرة الأدبية في الآيات المنزلة على محمد صلى الله عليه وسلم ، يتوصل الى نتائج ذات قيمة بالغة في مجال الدراسات الأدبية للقرآن الكريم .

بعد إشارة سريعة الى توثيق النص القرآني يقول فيها ان الفضل في انجاز هذه المهمة يعود الى « الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه لإسهامه قبل سنة ٦٥٥م في ابعاد المخاطر الناشئة عن وجود نسخ عديدة من القرآن ، واليه وحده يدين المسلمون بفضل تثبيت نص كتابهم المنزل على مدى الأجيال القادمة » .

بعدها ينطلق (بلاشير) باتجاهين لمتابعة الظاهرة القرآنية في جانبها الأدبي : الأسلوب والتأثير .

ولكن من هو (بلاشير) هذا ؟

ولد الرجل بالقرب من باريس ، وتلقى دروسه الثانوية في الدار البيضاء بالمغرب ، وتخرج بالعربية من كلية الآداب بالجزائر (١٩٢٢) وعين استاذا لها في معهد مولاي يوسف بالرباط (١٩٢٤ ـ ١٩٣٥) واستدعته مدرسة اللغات الشرقية بباريس استاذا لكرسي الأدب العربي (١٩٣٥ ـ ١٩٥١) كما عمل استاذا محاضرا في السوربون ونال الدكتوراه عام ١٩٣٦ .

كتب العديد من الدراسات عن تاريخ الأدب العربي في أشهر المجلات الاستشراقية ، وترجم القرآن الكريم في ثلاثة أجزاء .. أما أشهر كتبه فهي (تاريخ الأدب العربي) و(القرآن) اللذان اعتمدناهما هنا .

[٢]

يقف (بلاشير) طويلا عند الأسلوب القرآني ، ومنذ الضربة الأولى يسقط ترهات الخصوم وأضاليلهم ، تلك التي سعت لأن تجد أي تشابه أو امتداد بين أداء القرآن وتنبؤات الكهان . كما أن هذا الأداء الذي هو نسيج وحده يخلف وراءه بعيدا سائر معطيات الأدب البشري ، بل ان أشد الترجمات دقة والماما يمكن أن تؤدي غرضها المطلوب بنجاح تام مع كل أثر إلا مع كتاب الله « لا جرم في أنه اذا كان ثمة شيء تعجز الترجمة عن أدائه فإنما هو الايقاع الكلامي في الآيات المنزلة في ذلك العهد .. ان خصوم محمد قد أخطأوا عندما لم يشاؤوا أن يروا في هذا الا أغاني سحرية وتعويذية وبالرغم من أننا على علم ، استقرائيا فقط ، بتنبؤات الكهان ، فمن الجائز لنا الاعتقاد مع ذلك بخطل هذا الحكم وتهافته ، فان للآيات التي أعاد الرسول (صلى الله عليه وسلم) ذكرها في هذه السور ، اندفاعا وألقا وجلالة تخلف وراءها بعيدا أقوال فصحاء البشر كما يمكن استحضارها من خلال النصوص الموضوعة التي وصلتنا » .

الاندفاع .. الألق .. الجلالة .. تلك هي باختصار بعض مفاتيح الأداء القرآني الذي لا يملك من يتعامل معه بحس أدبي مرهف دقيق محيط ، سوى الانبهار ، ازاء هذا التدفق كالشلال ، كموج عنيف متلاحق ، يشع سنا وألقا ، ويفرض على المتلقي حضوره المترع بالجلالة والمهابة كصوت قادم من أبعاد الكون القصية ، لم يألفه انسان يعيش على هذه الأرض المنزوية ولن يألفه !

ليست موسيقى الكلمات وحدها ، انما هناك قيم فنية أخرى ، ففي أية مقارنة مدققة بين الآيات « نجد أنه من الخطأ أن ننسب القيمة الأدبية لمثل هذه الآيات الى موسيقى الكلمات وحدها . إن مزية هذه القطع مردها ايضا الى الفن المكون من البساطة التي أشربتها ، والكلمات الموضوعة في أمكنتها ، والى الحركة التي تركز الشخصيات . ان هذه الظاهرة واضحة في سورة يوسف . واذا ما قورن القصص القرآني ببعض الفصول المشابهة في

سفر التكوين Gemese المثقلة باللغو والاستطرادات ، ظهر أن القصص القرآني أعلى مرتبة بما لا يقاس ، فهو يتدرج برشاقة دون اشارات زائدة ، تسيطر عليه فكرة مواسية ألا وهي ان العادل ينتصر بايمانه ووفائه . وليس فن الحكاية في سور أخرى هو الذي يحملنا على التقدير ، بل المميزات الخطابية والأسلوبية . ففي سورة الأعراف يعجب المرء عندما يقرأ من الآية/٥٧ الى الآية ٩١ عن الأنبياء نوح وهود وصالـح ولوط وشعيب من توازن القصص الخمس والتأثير المزدوج من تكرار اللازمة» .

فبالاضافة الى الموسيقا اذن هناك (٢) البساطة المؤثرة (٣) وضع الكلمات في أماكنها (٤) رسم الشخصيات بدقة بالغة (٥) التـركيز والاقتصاد ، (٦) المميزات الخطابية والأسلوبية .

واذن فان القرآن الكريم لا يخلف وراءه بعيدا ـ فحسب سائر المعطيات الأدبية الوضعية ولكن ـ ايضا ـ نصوص الكتب الدينية المحرفة بما لا يقاس .

[٣]

يمضي (بلاشير) في تحليله فيلاحظ (في سورة يونس : ١٠ ـ ٣١ ـ ٣٧) « بالاضافة إلى تنوع التركيب ، حيث يتناوب الاستفهام والتأكيد الحاسم ، اندفاع الفكر الذي يدافع الخصم ويرهقه دون أن يتيح له وقتا للاجابة واستعادة الروع ، فإن ثمة بلاغة عفوية نستشفها حتى من خلال الآيات المترجمة » .

واذا كان لا بد من التعداد الذي قد يعرقل التعامل الجمالي مع النص فاننا سنضيف هنا تأشيرات أخرى للرجل على أسلوب القرآن .. فهناك ـ سابعا ـ تنوع التركيب ، وهناك ـ ثامنا ـ هذا الاندفاع في الخطاب الجدلي الذي يحصر المدافع في الزاوية الضيقة دون أن يتيح له أي حيز للحركة لكي ما يلبث أن يفحمه . وهناك ـ تاسعا ـ تلك البلاغة العفوية التي تفرض نفسها حتى عندما يترجم القرآن الى لغات أخرى !

وثمة ما يلحظه (بلاشير) ، كذلك ، مما يعد بحد ذاته تأكيدا مدهشا لمعجزة القرآن الأدبية « ان علم البيان الأرسطو طاليس الذي تأصل في العراق في ذلك الوقت (القرون الهجرية الأولى) يصدق في مجال تطبيقه على الأدب العربي كل ما يتيح القرآن وضعه على صعيد التجريد . والمسألة سهلة في الواقع : إذ ما دام القرآن كلام الله ، وما دام يكون كمالا للغة الانسانية لا مثيل له ، فلا شيء أسهل من أن نكتشف فيه المبادىء نفسها التي كان ارسطو قد نجح في وضعها بالاعتماد على قوة العقل وحده . نجد الشواهد على هذا ، الجهود البارة والثاقبة في الموضوعات الأدبية الغنية التي نمت في العراق ابتداء من القرن العاشر الميلادي ، الرابع الهجري ...) .

فحتى لو قام البلاغيون المسلمون بجهود مستميتة لتحقيق التطابق التام بين المعطيات القرآنية ومبادىء علم البيان الارسطوطاليسي على فرض التسليم بمحاولة كهذه ، فانه لمن المستحيل ـ يقينا ـ على النبي الأمي صلى الله عليه وسلم أن يقدم نصا بهذا الامتداد والغنى ، لا يتضمن أيما ارتطام مع المبادىء التي اكتشفها ارسطو ؛، قبل قرون متطاولة ، معتمدا على قوة العقل وحده .

و (بلاشير) نفسه اذ يسلم بمعجزة القرآن الأدبية يشير الى أن الرسول نفسه صلى الله عليه وسلم « لم يرتفع في أحاديثه الدنيوية الى مستوى الجلال القرآني .. » .

فما الذي يعنيه هذا ؟!

يجيب (بلاشير) في مكان آخر « ان القرآن ليس معجزة في محتواه وتعليمه فقط ، انه ايضا ويمكنه أن يكون قبل أي شيء آخر تحفة أدبية رائعة تسمو على جميع ما أقرته الانسانية وبجلته من التحف .. ان الخليفة المقبل عمر بن الخطاب ، المعارض الفذ في البداية للدين الجديد ، قد غدا من أشد المتحمسين لنصرة الدين عقب سماعه لمقطع من القرآن ، وسنورد الحديث فيما بعد عن مقدار الافتتان الشفهي بالنص القرآني بعد أن رتله المؤمنون » .

وهذا الانفعال الجمالي الذي «نشأ عن النثر القرآني » لم يقتصر على المؤمنين وحدهم بل تجاوزهم الى الأعداء فما تحكيه الروايات عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، تحكي مثله عن حشود من الخصوم بهرتهم الكلمة القرآنية فدفعتهم الى تعزيز مقاومتهم غير المجدية ، أو الى « الانتماء لدين » هذا كتابه ! « ان القيمة الأدبية للرسالة التي تبلغها العرب عن محمد صلى الله عليه وسلم ، قد تجلت حالا من غير أن يخالطها أي شيء دنيوي ، كأجمل أثر أدبي كان يمكن تصوره .. ولا يجب أن يغرب عن بالنا هذا الحدث الذي يتصل بما توحيه الشريعة الجديدة من الاجلال ، عندما نحكم ميزة القرآن الجمالية ، ثم ان لهذه الميزة تأثيرا حتى على السامع الذي لا ينطق بالضاد .. » ..

وهذا ينقلنا بالضرورة الى تأثير (الأدبيات) القرآنية والنتائج التي نجمت عنها .

[٤]

فها نحن نلاحظ مع (بلاشير) ان هذا التأثير لم يقتصر على طائفة المؤمنين أنفسهم ، بل تجاوزه الى الخصوم كما انه لم يقتصر على قراء العربية وحدهم وانما تعداهم الى أولئك الذين لا ينطقون بالضاد .

لقد سحرهم الأداء القرآني، بهر عقولهم وقلوبهم كما لم يبهرها شيء ، وقاد أكثر المستمعين في نهاية الأمر الى الانتماء لدين هذا كتابه وتلك معجزته . وقد يتضمن هذا التأثير صيغة مركبة . فهنالك الدهشة والاعجاب لأداء متميز فريد ، وهنالك ـ ايضا ـ اليقين العقلي والوجداني الذي يتمخض عن هذه الدهشة وذلك الاعجاب ، والذي يؤكد للمستمع أو القارىء بأن كتابا كهذا ليس كالكتب،وان مصدره لا يمكن أن يرجع لانسان مهما كان المستوى الذي يتربع عليه الانسان .

لعل هذا هو التأثير الأهم والأكثر اتساعا لمعجزة القرآن الأدبية : أن تبهر الناس وتقودهم الى الاسلام ، وهو بالتأكيد النقطة ، أو البؤرة المركزية التي استهدفتها جماليات القرآن . و(بلاشير) اذ يتحدث عن انتصار الاسلام يؤكد وجود أسباب عديدة متداخلة «وفي طليعتها القرآن الذي كان سببا أساسيا . وكلما تتابعت الحوادث صار هذا السبب حاسما .. ففي الوسط الذي تمت فيه التجربة انتقل العامل الديني بفضل اجتهاد بعض معتنقي الاسلام وحماستهم الى مكان الصدارة ، فالمرء ينتصر على خصومه لأنه أقوى منهم ، وهو أقوى منهم لأنه يطيع الله ورسوله ، ويؤمن بكلامه المنزل ، وهكذا فان مفهوم اعجاز القرآن ينبثق من بين هذا المجموع » .

[٥]

وهو يتحدث في مكان آخر عن التأثير نفسه ، عن كون المعجزة الأسلوبية التي تحدّت الخصوم أربع مرات وخرجت منتصرة كانت واحدة من العوامل الأساسية في الانتماء للاسلام وفي انتصاراته التي حققها في كافة الجبهات « ان الوحي الذي بلّغه محمد يردد أربع مرات تحديه للكافرين في قدرتهم على أن يأتوا بشيء من مثله (يجعل الانسان) يحس بالرسالة القرآنية . اذن انها تكون بالتحديد ، من وجهة ما ، معجزة تجددت طوال دعوة محمد صلى الله عليه وسلم » .

بل ان الطبيعة المركبة لتأثير الأداء القرآني تمتد الى اتجاه ثالث والذي يمكن أن يعبر عنه استنتاج (بلاشير) من « أن أول ما يسترعي الانتباه في العالم الاسلامي هو ما للقرآن من التأثير العميق على الفرد سواء أكان ذلك الفرد رجلا أو امرأة .. » .

فليس يكفي أن يحدث القرآن التأثير في نفوس الخصوم دهشة واعجابا ، ثم إيمانا وانتماء وإنما أن يتواصل هذا التأثير بالنسبة للمنتمين أنفسهم عصرا بعد عصر وجيلا بعد جيل .. ان تظل ناره مشتعلة في الوجدان وأن تبقى كهرباؤه تهز الأعصاب،توقظ الأفئدة ، تزيح الصدأ ، تكسر الأقفال ، وتضع الانسان المؤمن وجها لوجه أمام هذا الاعجاز الباهر المتجدد الذي

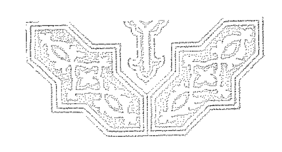
يحمي توتره الايماني ويجعله في حالة اهتزاز دائم وخفقان متواصل لا يهدأ أو يفتر حتى تمسه شرارة الجمال القرآني فتلهبه وتضيئه من جديد .

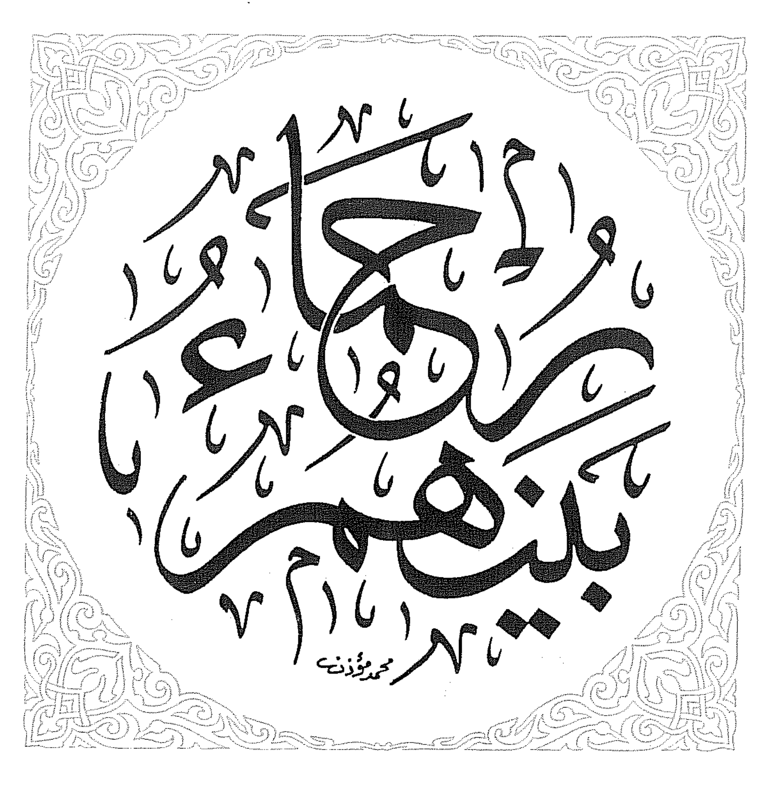
ومع ذلك فان هذا الهدف المركزي لأدبيات القرآن والكسب الكبير الذي تمخض عنه ليس وحده في الساحة .. انما هناك تأثيرات أخرى ذات طابع علمي قد يمتد نشاطه ويتشعب حتى يأخذ صيغة تحفيز واستجابة ذات بعد حضاري «ان الواقعة القرآنية ـ يقول بلاشير ـ مع كونها باعثا قويا على ازدهار الدراسات النحوية والمعجمية قد اتضح أثرها في مجال آخر كأثر أكثر فعالية ايضا . ولا نبالغ اذا قلنا بأن علم البيان العربي كان منطلقه من القرآن ، ومن الأبحاث التي أثارها الاعجاز ، هذا الاعجاز الذي يجب على كل مؤمن ان يكشفه بنفسه » .

وكان من الطبيعي كما يستنتج (بلاشير) « «أن يقتنع مؤسسو علم البيان العربي منذ القرن (التاسع الميلادي ، الرابع الهجري) بأن القرآن يحتوي على جميع المواد الضرورية لاخراج علم يكون له مركز مرموق في الثقافة الاسلامية على مدى جميع العصور وحتى عصرنا هذا » .

هذا التدفق المعرفي الذي بعثه القرآن في مجال الدراسات اللغوية والأدبية ، فأنشأ فروعا جديدة وصقل وهذب أخرى ، وأغنى في الحالتين بمعطياته التي كانت تزداد كثافة بمرور الوقت واحدا من أهم أقسام الدراسات الانسانية التي كان لها ـ بدورها ـ تأثير بالغ خارج الدائرة الاسلامية وباتجاه بلاد وثقافات أخرى .. هكذا و« في جميع المجالات التي أطللنا عليها من علم قواعد اللغة والمعجمية وعلم البيان أثارت الواقعة القرآنية وغذت نشاطات علمية هي أقرب الى حالة حضارية منها الى المتطلبات التي فرضها اخراج الشريعة الاسلامية .. » .

ليس هذا فحسب فان (بلاشير) يذكر بأن « هناك مجالات أخرى تدخل فيها (الواقعة القرآنية) كعامل أساسي » كما أنه يذكر بأن فاعلية التأثير لا تقتصر على كون القرآن ينبه فقط ، انما هي بتعبير (بلاشير) ذي المغزى العميق «فاعلية عنصر مبدع تتوطد قوته بنوعيته الذاتية » تلك النوعية التي حبكها قول الله المعجز ، وصاغت آياتها العذبة وسورها الباهرة قدرته المبدعة الخلاقة التي لا يقفها شيء ولا تحدها ضفاف **(ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ..**) لقمان/٢٧ وصدق الله العظيم .





للاستاذ / عبدالعزيز بغداد

ان عالما تستفحل فيه أسباب القوة البانية المدمرة : المستمدة من العلم ، ويشتد التطلع في كل شعب من شعوبه الى حسن الحال ، وتتوافر فيه الوسائل التي تكفل تحقيق مبدعات الحضارة وتعميمها .

إن عالما كهذا ، لهو في أشد الحاجة الى التحلي بعدة فضائل تكون أقدر على تحصين هذه الحضارة وألصق بإنسانية الانسان وسعادته .

ومن أجل هذه الصفات وأكرمها في دنيا البشر صفة الرحمة التي هي كمال في الطبيعة يجعل المرء يرق لآلام الخلق ويحول بينه وبين تبلد الحس الذي يهوى بالانسان إلى منزلة الحيوان ويسلبه أفضل ما فيه وهو العاطفة النابضة بالحب والرأفة . والرحمة في أفقها الأعلى وامتدادها المطلق صفة المولى تباركت أسماؤه ، فإن رحمته شملت الوجود وعمت الملكوت ، فحيثما أشرق شعاع من علمه المحيط بكل شيء ، أشرق معه شعاع للرحمة الغامرة . ولذلك كان من صلاة الملائكة له قوله عز من قائل :

« **ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم** » سورة غافر/٧ ، وكثير من أسماء الله

الحسنى ينبع من معاني الرحمة والكرم والفضل والعفو ، وقد جاء في الحديث القدسي :

« ان رحمتي سبقت غضبي »

صحيح الامام مسلم عن ابي هريرة

أي ان تجاوزه عن خطايا البشر يسبق أقتصاصه منهم وسخطه عليهم . فما يرى في الارض من تواد وبشاشة وتعاطف وبر ما هو إلا أثر من رحمة الله التي أودع جزءا منها في قلوب الخلائق،فأرق الناس أفئدة أوفرهم نصيبا من هذه الرحمة وأرهفهم إحساسا بحياة الضعفاء ، وأكثرهم تجاوبا مع صرخات المستضعفين ونداءات الملهوفين .

أما غلاظ الأكباد من الجبارين والمتكبرين ، فهم في الدرك الأسفل من النار مصداقا لقوله عليه الصلاة والسلام :

« إن أبعد الناس من الله تعالى القلب القاسي » رواه الترمذي

وحينما أراد الله تعالى أن ينقذ هذا العالم من عنجهيته ويملؤه رحمة وصفاء وخيرا امتن عليه برجل يمسح آلامه ويخفف أحزانه ويستميت في هدايته ويقاتل دونه قتال الأم عن صغارها ويخضد شوكة القوي حتى يرده إنسانا سليم الفطرة لايغوى ولا يطغى ، أرسل سيدنا محمدا عليه الصلاة والسلام وسكب في قلبه من العلم والحلم وفي خلقه من الإيناس والبر ، وفي طبعه من السهولة والرفق ما جعله أزكى عباد الله رحمة وأوسعهم عاطفة وأرحبهم صدرا . مصداقا لقوله جل جلاله : « **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك** » سورة آل عمران/ ١٥٩

ومن النتائج الخالدة التي جاء هذا النص القرآني الكريم ليقررها أن ما حققه الرسول عليه السلام من أفضال في هذا العالم ما كانت لتتحقق لو لم يكن رحيما بأمته لينا معهم فلو كان فظا غليظ القلب ما تألفت حوله المشاعر ولا اتحدت ومن ثم فإن الناس في كل زمان ومكان في حاجة إلى كنف رحيم وإلى رعاية فائقة وإلى بشاشة سمحة وإلى ود يسعهم وحلم لا يضيق بجهلهم ، وإلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء .

وستظل صفة الرحمة التي أودعها الله تعالى في قلب رسوله الكريم درسا رائعا يعلم البشرية كيف تتعايش ، كما علم جيل الصحابة الكرام الذين غرفوا من حياض النبوة تربية مصفاة فتخرجوا من مدرستها رحماء ممثلين لمعنى الرحمة في أزهى صورها وأشرف مضامينها .

قال الله تعالى :

« **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم** » . سورة الفتح/ ٢٩

وقد نتساءل عن معنى ذكر الشدة في سياق الرحمة ؟

والحق أن الاسلام يوصي بالرحمة العامة لا يستثنى منها إنسانا ولا دابة

ولا طيرا لكن هناك من الناس من يكون مصدر خطر على غيره ومثار رعب ، فيكون من رعاية الصالح العام أن يحبس شره ويحاصر ضرره ، وقد تكون الشدة معه رحمة به وتقويما لعوجه على حد قول الشاعر العربي :

فقسا ليزدجروا ومن يك راحما
فليقس أحيانا على من يرحم

ولقد تجلت هذه الصفات في تلاميذ محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام ، فكانوا أشداء على الكفار وفيهم آباؤهم وإخوتهم وذووقرابتهم فنسوا هذه الوشائج جميعا وكانوا رحماء بينهم وهم فقط إخوة دين وهذا هو معنى الشدة لله والرحمة لله ، لقد تغلغلت العقيدة في نفوسهم وتمكن الايمان من قلوبهم ، وهذه هي الحمية للعقيدة والسماحة للعقيدة ، وهذا هو السلوك على أساس العقيدة وحدها يشتدون على أعدائهم فيها كما يلينون لاخوتهم فيها .

ونقرأ في سورة المائدة قوله تعالى :
« **أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين** » المائدة/ ٥٤ .

فالذلة هنا هي صفة مأخوذة من السهولة والطواعية واليسر واللين ، بمعنى أن المؤمن ذلول للمؤمن غير عصي عليه ولا صعب ، سمح ودود ، وهذه هي الذلة للمؤمنين إنها تحطيم للحواجز بين المؤمنين ، خلط النفس بالنفس في الأهداف والمشاعر والأحاسيس وهذا هو حال المؤمنين وقد اجتمعوا في الله إخوانا يحبهم ويحبونه .

وحينما نتفحص معنى أعزة على الكافرين فإننا نجد أنها عزة للعقيدة وإعلاء لراية الاسلام التي يستظلون بظلها من أجل مواجهة الكافرين ، وهذه العزة تتحقق بموجب الثقة في مصداقية الدين الذي اعتنقوه وأنه هو الخير وهو الصواب .

وإننا لنأسف غاية الأسف لغياب هذا المعنى المشرق الذي حجبته الخلافات بين المسلمين فطمست هذه الإشراقة التربوية التي بثها - على مر الأجيال - مثل هذه النصوص الغراء ليحل محلها الصراع المرير يستفزه المسلمون ضد المسلمين حتى أنه لم يسبق في تاريخ الاسلام بأكمله أن قتل مثل هذه الكثرة التي قتلت في هذه الفترة الحالية القصيرة وإن مما يمض أن المسلمين يقتل بعضهم بعضا .

ان مما آلت إليه الحال بين المسلمين في العقود الأخيرة يفت في العضد ويضع القلق محل الطمأنينة والشك محل الوثوق ، ويؤكد مرة أخرى أنه آن الأوان أن يعيد المسلمون النظر في مناهجهم التربوية ويعيدوا قراءة تراثهم النابض بالحياة الملىء بالروائع الانسانية الخالدة القادرة على تجديد الآفاق التربوية .

ذلك أن التربية عمل يدل على الايمان بالمستقبل ، وفي إدراك هذه الحقيقة معقد الرجاء فالمسلمون - برغم مايمزقهم اليوم من أسباب الضغينة والخلاف - هم على موعد مع

هذا الرجاء فمن الذي يستطيع أن ينكر أن في طبيعة التوجيه الاسلامي ذخيرة من الخير قوية مليئة علما وآدابا وحلولا صادقة ؟ ولابد أن يجيء ذلك اليوم الذي تعلق فيه النفوس بذلك العلم الذي ابتدعته عقول الأجداد وترتفع حكمته الى المستوى الانساني الزاهر .

ذلك أننا نرى بعثا إسلاميا من الخليج إلى المحيط ، وهذه فرصة يجب أن نهتبلها ونحن في هذا المخاض ، وأن في قلب البلاد العربية والاسلامية ألوفا من الشباب يستطيعون أن يحققوا ضخام الأحلام وعظام الآمال تسمو بها الأمة إلى تلك الأمجاد التي أشرقت بشائرها على الدنيا من أرجاء البلاد الاسلامية ، وأن ذلك ـ سيحقق ـ اذا رشد ـ هذا البعث الاسلامي المعبر عنه بالصحوة الاسلامية ويستطيع أن يعمق الايمان الصادق في نفوس الملايين بقدرتها على أن تفعل وتصل .

ولقد استطاعت الإشراقة التربوية التي بثها القرآن الكريم وسيرة الرسول الأكرم عليه الصلاة والسلام . أن تحقق معنى التلاحم والتراحم بين الإخوة المسلمين ـ فكانوا بفضل ذلك ـ بنيانا مرصوصايحسون إحساسا واحدا وتقودهم آمال واحدة فاستطاعوا أن يشقوا ضباب المعرفة في فجر حضارتهم ويطلقوا الفكر من تمائمه ، ويحفظوا ـ بما فطروا عليه من الشوق الى المعرفة والصبر على مكاره البحث ـ جملة من تراث الفكر الانساني ويضيفوا إليه ويبدعوا فيه .

وما كان للمسلمين أن يحققوا كل تلك الآثار لو لم يكونوا اخوة يعنون للمعرفة والقدوة الحسنة والفهم والفضيلة والخير .

ولعل الايمان بذلك هو الذي يجب أن ينبعث مرة أخرى في ظروف المسلمين الحالية :

يجب أن يؤمنوا ثانية أنهم « رحماء بينهم » أو يجب أن يكون الأمر كذلك وما أجدر هذه الصفة أن تكون الآن حجر الزاوية فتشيع في مناهج كل مؤسسة وكل معهد من معاهد هذه الأمة وفي كل وسيلة من وسائل التربية فيها من صحافة مسموعة أو مرئية أو مقروءة حتى نستلهم تراث الأمة الاسلامي في هذا المجال ليكون لنا حافزا من أجل الثقة والاقدام .

أن مَدّ آمال المسلمين في الظفر بحياة أنضل ، مد لا تحده حدود ، ولن يتحقق ذلك إلا بجد لا ينحرف ولا ينثني وهذا يقتضي من أسنى العقول وأذكاها ـ وما أكثرها في ربوع البلاد الاسلامية ـ أن تبذل أقصى ما تملك من العزيمة والفكر وحسن النية في انصرافها دون تحفظ أو تلكؤ لإبداع خطط مستمدة من روح التربية الاسلامية يستطيع المسلمون ـ في ظلها أن يسعوا إلى حلول واقعية تسمو فوق الخلافات وتحطم كل الحواجز

وبذلك يتحقق معنى التراحم في صورته الكبرى . وبهذا المفهوم يستطيع المسلمون أن يحافظوا على المعنى الجوهري المضمن في كلمتي : رحمة ورحماء ، وان هذا ليدعو جميع الأطراف أن تسعى بحرية ومسؤولية إلى استكشاف أبعاد التوجيه الاسلامي الرائع الذي يستطيع أن يحل الأزمة الخانقة ويساهم في تبديد الغيوم الداكنة .

ولعل دور العلماء في هذا المجال دور أساسي من شأنه أن يميط اللثام عن حقائق دينية توجيهية لا يفتأ الخصوم يحجبونها بألف ستار وستار ليظل القتال قائما والتنابذ موجودا ، إن دور العلماء - اليوم - إذا انصرفوا إلى هذه المهمة بكل إخلاص وتفان ، سيكون وسيلة تنشىء الشباب على الأخذ بالأفضل من الرأي ، والأنفع من العمل والأنبل من الولاء ، وسيبصرهم بالاسلام الحقيقي الذي تشتد إليه حاجة هذا العصر كي تنكشف الغمة وينزاح من طريق المسلمين ذلك الشبح المخيف المتمثل في الخلافات التي لا مبرر لها مع وجود هذا التراث الغني بناصع التوجيه وجميل الارشاد .

نعم إن دورهم اليوم كبير جدا ، فالأمة العربية والاسلامية تقف اليوم على حد فاصل من الزمن يتحداها فيه ماضيها المجيد المليء بالمفاخر.

فإن لم تجعل من الاتحاد والتواصل والتحاب ومن العلم والبحث وملاحقة الركب ، إن لم تجعل من ذلك بعض عدتها ، فأغلب الظن أنها ستبقى متخلفة عن الركب مستضعفة عند العدو والصديق .

وإن أكبر انتصار سيحققه العرب والمسلمون اليوم هو أن يستجيبوا لشفافية هذا النص القرآني الكريم : « **أشداء على الكفار رحماء بينهم** » ويصونوه ويطبقوه تطبيقا يستهوى النفوس والعقول ويدني المسافة بين المسلمين وبين غدهم المشرق لتحقيق أعمق ما في التراث وأبعد ما في الأمل .

أول بيت

قال تعالى : إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين * فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا »

قال الاصمعي : وسميت « بكة » لأن الناس يبكّ بعضهم بعضا فيها اي يدفع .

قرآن للـك

البلد الحرام

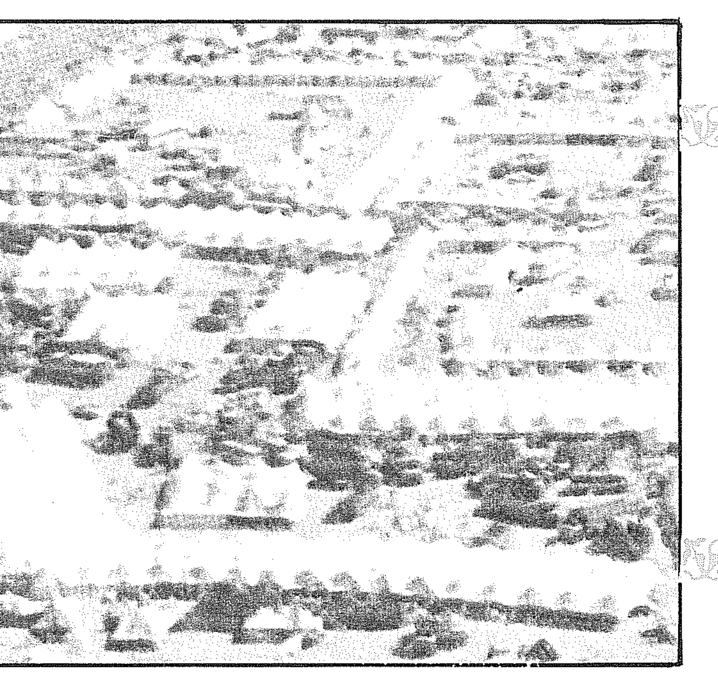
— حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ ، يَوْمَ افْتَتَحَ مَكَّةَ : « لَا هِجْرَةَ وَلَـٰكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا ، فَإِنَّ هٰذَا بَلَدٌ حَرَّمَ اللهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَإِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ الْقِتَالُ فِيهِ لِأَحَدٍ قَبْلِي ، وَلَمْ يَحِلَّ لِي إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، لَا يُعْضَدُ شَوْكُهُ، وَلَا يُنَفَّرُ صَيْدُهُ، وَلَا يَلْتَقِطُ لُقَطَتَهُ إِلَّا مَنْ عَرَّفَهَا، وَلَا يُخْتَلَى خَلَاهَا » .

قَالَ الْعَبَّاسُ : يَا رَسُولَ اللهِ ! إِلَّا الْإِذْخِرَ فَإِنَّهُ لِقَيْنِهِمْ وَلِبُيُوتِهِمْ . قَالَ : قَالَ : « إِلَّا الْإِذْخِرَ » .

أخرجه البخارى فى : ٢٨ ـ كتاب جزاء الصيد : ١٠ ـ باب لا يحل القتال بمكة .

لا هجرة واجبة من مكة إلى المدينة بعد الفتح لأنها صارت دار إسلام .

ولكن جهاد ونية : أى جهاد فى الكفار ونية صالحة فى الخير تحصلون بهما الفضائل التى فى معنى الهجرة التى كانت مفروضة ؛ وقال الطيبى فى شرح المشكاة قوله ولكن جهاد ونية عطف على محل مدخول لا ، والمعنى أن الهجرة من الأوطان إما هجرة إلى المدينة للفرار من الكفار ونصرة الرسول ﷺ ، وإما إلى الجهاد فى سبيل الله ، وإما إلى غير ذلك من تحصيل الفضائل كطلب العلم ؛ فانقطعت الأولى وبقيت الأخريان فاغتنموها ولاتقاعدوا عنهما . وإذ استنفرتم فانفروا : أى إذا دعاكم الإمام إلى الخروج إلى الغزو فاخرجوا إليه . حرم الله : بحذف الهاء ، والأصل حرمه. بحرمة الله : أى بسبب حرمة الله . لم يحل لى : أى القتال فيه ؛ ولا دلالة فيه على أنه عليه الصلاة والسلام قاتل فيه وأخذه عنوة ، فإن حل الشيء لا يستلزم وقوعه ؛ قال الماوردى فيما نقله عنه النووى فى شرح مسلم : من خصائص الحرم أن لا يحارب أهله ، فإن بغوا على أهل العدل فقد قال بعض الفقهاء يحرم قتالهم بل يضيق عليهم حتى يرجعوا إلى الطاعة ويدخلوا فى أحكام أهل العدل وقال الجمهور يقاتلون على بغيهم إذا لم يمكن ردهم عن البغى إلا بالقتال لأن قتال البغاة من حقوق الله تعالى التى لا يجوز إضاعتها فحفظها فى الحرم أولى من إضاعتها ؛ قال النووى وهذا الأخير هو الصواب. لا يعضد : لا يقطع. شوكه : أى ولا شجره بطريق الأولى ، نعم لا بأس بقطع المؤذى من الشوك كالعوسج ، قياسا على الحيوان المؤذى. ولاينفر صيده : تصريح بتحريم التنفير وهو الإزعاج وتنحيته من موضعه . ولايلتقط لقطته إلا من عرفها : معنى الحديث لاتحل لقطتها لمن يريد أن يعرفها سنة ثم يتملكها كما فى باقى البلاد بل لا تحل إلالمن يعرفها أبدا ولا يتملكها . ولا يختلى خلاها : أى ولا يقطع نباتها الرطب . الإذخر : نبت معروف طيب الرائحة ، وهو حلفاء مكة . لقينهم : أى لحدادهم ، أو القين كل صاحب صنعة يعالجها بنفسه ، ومعناه يحتاج إليه القين فى وقود النار . ولبيوتهم : فى سقوفها ، يجعل فوق الخشب ، أو للوقود كالحلفاء ؛ وقوله إلا الإذخر : استثناء بعض من كل لدخول الإذخر فى عموم مايختلى .



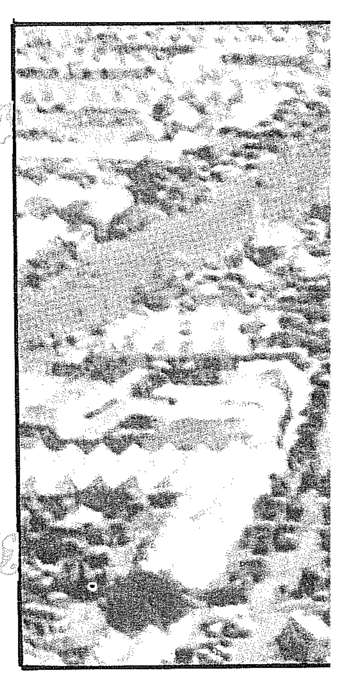
من حديث الحج

في القرآن الكريم :

وردت في سورة البقرة ـ أطول سور القرآن الكريم ـ آية من آيات الحج والعمرة ، عدها ابن العربي فى احكام القرآن عضلة من العضل ، وإن ذهب القرطبى إلى غير ذلك وقال عنها بأنه لا اشكال فيها ، وأنه سيبينها غاية البيان ، هذه الآية هى قول الله تبارك وتعالى : « **وأتموا الحج والعمرة لله فإن احصرتم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدي محله فمن كان منكم مريضاً او به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب** » (البقرة/١٩٦) .

والذى لا خلاف عليه ان الآية نزلت فى الحديبية سنة ست حين صد المشركون المسلمين ، وحالوا بينهم وبين زيارة البيت الحرام ، ولكن العلماء بعد هذا اختلفوا اختلافا كثيرا حول كل ما تحدثت عنه هذه الآية من مسائل ، وهو لا يكاد يخرج عما يلي :

أولا : الأمر بإتمام الحج والعمرة .
ثانيا : الاحصار والهدي .
ثالثا : ارتكاب بعض المحظورات لضرورة في فترة الاحرام .
رابعا : التمتع وآثاره .



الأحصار والهدي

للدكتور/محمد الدسوقي

أما الأمر بإتمام الحج والعمرة فقد اختلف فى دلالته على وجوبهما ، كما اختلف فى المقصود به ، فقد ذهب بعض الفقهاء إلى أن الأمر فى الآية مطلق لا يقيد الاتمام بالدخول فى الحج والعمرة ، ومن ثم يدل على وجوبهما ، على حين رأى البعض الآخر ، أن ذلك الأمر غير مطلق ، وأنه مشروط بالدخول فى الحج والعمرة ، ويكون معناه أن من شرع فيهما فعليه أن يتمهما ، فلا يدل إذن على الوجوب .

ويذكر الرازى فى تفسيره أن أهل التفسير يرون أن هذه الآية هي أول آية نزلت في الحج ، ولذلك كان حملها على ايجاب الحج أولى من حملها على وجوب الاتمام بشرط الشروع فيه ، وهذا يعنى أن العمرة كالحج في الوجوب ، ولكن الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير يذهب إلى أن المقصود بهذه الآية هو العمرة ، وإنما ذكر الحج على وجه الادماج ؛ تبشيرا بأن المسلمين سيتمكنون من الحج فيما بعد ، وهذا من معجزات القرآن ..

وإذا كان معنى إتمام الشيء إكماله والاتيان على بقايا ما بقي منه حتى يستوعب جميعه ، فإن الراجح أن الأمر بالاتمام لا يدل على وجوب الحج والعمرة ، وإنما يدل على وجوب إتمام هاتين العبادتين لمن أحرم بهما ، جاء في روح المعاني للألوسى جـ ٢ صـ ٧٨ : فلا دلالة في الآية على أكثر من وجوب الاتمام بعد الشروع فيهما ، وليس في الآية أكثر من بيان وجوب إتمام أفعالهما عند التصدى لأدائهما ، وإرشاد الناس الى ما عسى يعتريهم من

العوارض المخلة بذلك من الاحصار ونحوه ، من غير تعرض لحالهما من الوجوب وعدمه ، ووجوب الحج مستفاد من قوله تعالى : « **ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا** » (آل عمران/٩٧) ، ومن ادعى من المخالفين أن آية البقرة دليل له ، فقد ركب شططا وقال غلطا .

وما قاله الألوسى سبقه إليه الزمخشري وابن العربي وابن كثير والقرطبي وغيرهم .

ومادام الأمر بالاتمام لا يعد دليلا صريحا في وجوب الحج والعمرة وأن الراجح أن دلالته تنصرف إلى إلزام الاتمام لا إلزام الابتداء ، ومادامت آية آل عمران هي التي بينت فرضية الحج ، فإن الراجح أن العمرة ليست واجبة وإنما هي تطوع أو سنة ، وقد أورد الشوكاني في مستهل الجزء الخامس من نيل الأوطار عدة أحاديث في الحج والعمرة وفضلهما ، وتعرض وهو يشرح هذه الأحاديث لآراء الفقهاء من حيث وجوب العمرة وعدم وجوبها ، وانتهى بعد سرده لأهم تلك الآراء ومناقشة أدلتها إلى قوله : والحق عدم وجوب العمرة ؛ لأن البراءة الأصلية لا ينتقل عنها إلا بدليل يثبت به التكليف ، ولا دليل يصلح لذلك ، لاسيما مع اعتضادها بالأحاديث القاضية بعدم الوجوب ، ويؤيد ذلك اقتصاره صلى الله عليه وسلم على الحج في حديث بني الاسلام على خمس ، واقتصار الله جل جلاله على الحج في قوله تعالى : « **ولله على الناس حج البيت** » ثم قال : وأما قوله تعالى : « **وأتموا الحج والعمرة لله** » فلفظ التمام مشعر بأنه إنما يجب بعد الاحرام لا قبله .

وكما اختلف الفقهاء في دلالة الأمر على وجوب الحج والعمرة ، اختلفوا في مفهوم الاتمام أو المقصود به ، وقد ذكر ابن العربي سبعة اقوال في ذلك هي : الاحرام بالحج والعمرة من الديار ، أو إتمامهما الى البيت ، أو بحدودهما وسننهما أو عدم الجمع بينهما ، أو ألا يحرم بالعمرة في أشهر الحج ، أو إتمامهما بعد الدخول فيهما ، أو الا يتجر معهما ، وعقب على هذا بقوله : وكل هذه الأقوال محتمل في معنى الآية إلا أن بعضها مختلف فيه .

وقال صاحب الكشاف في معنى وأتموا : أى ائتوا بهما تامين كاملين بمناسكهما وشرائطهما لوجه الله ، وقيل : الافراد ، وقيل : أن تكون النفقة حلالا ، وقيل : أن تخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما بشىء من التجارة والأغراض الدنيوية ..

وآراء الفقهاء وان تفاونت بعض التفاوت في معنى الاتمام تكاد تجمع على أن المراد به هو الاتيان بالحج والعمرة تامين ، ظاهرا بأداء المناسك على وجهها ، وباطنا بالاخلاص لله تعالى وحده دون قصد الكسب او التجارة او الرياء او السمعة فيهما ، فقد أمر الله بأن يكون الاتمام له ، فإذا لم يتوجه الحاج والمعتمر بالشعائر والمناسك خالصة لربه فإنها لا تقبل منه وترد عليه ؛ لأن الله طيب ولا يقبل من الأعمال إلا ما كان طيبا .

وبعد الأمر بإتمام الحج والعمرة جاء حكم ما يمنع من ذلك الاتمام ، أو ماعساه يحول دونه « **فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى** » .

وللعلماء في تحليل كلمة « أحصرتم » من الناحية اللغوية عدة أقوال ترتب عليها اختلافهم في معنى الاحصار الذي يجوز معه تقديم ما استيسر من الهدى ، والاحلال من الاحرام ، فلدى بعضهم أن الفعل من مادة « حصر » إذا كان ثلاثيا فهو خاص بمنع العدو ، يقال : حصره يحصره ، إذا ضيق عليه وأحاط به ، ومنعه عن مراده .

وإذا كان الفعل من هذه المادة مهموزا « أحصر » فإن من العلماء من جعله خاصا بالمنع بالمرض ، ومنهم ، وهو قول ينسب للشافعي أنه مختص بالمنع الحاصل من جهة العدو ، ولكن أكثر أهل اللغة يردون هذا القول على الشافعي مع أنه إمام في العربية ، كما هو إمام في الفقة والأصول ، وهناك من يرى أن أحصر يفيد الحبس والمنع مطلقا ، ويقال : أحصره احصارا ! إذا منعه .

ويذهب بعض أئمة اللغة ـ وهو الصحيح ـ إلى أن حصر وأحصر بمعنى المنع في كل شي ، وأن الهمزة في أحصر لم تكسبه تعدية ، فهو في دلالته مرادف لحصر ، ونظيرهما صده ، وأصده .

قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة في مادة « حصر » : الحاء والصاد والراء أصل واحد ، وهو الجمع والحبس والمنع ، ثم قال : والكلام في حصر واحصر مشتبه عندى غاية الاشتباه ؛ لأن ناسا يجمعون بينهما ، وآخرون يفرقون ، وليس فرق من فرق بين ذلك ، ولا جمع من جمع ناقضا القياس الذي ذكرناه ، بل الأمر كله دال على الحبس .

والذي حمل بعض العلماء على قصر دلالة كل من حصر وأحصر على معنى خاص هو كثرة استعمال الفعل المجرد في المنع من العدو ، والمهموز في المنع من غير العدو ، بيد أن كثرة الاستعمال أو شيوعه لا تدل على خصوصية في الدلالة ، فضلا عن أنه قد يشيع استعمال اللفظ الموضوع للمعنى العام في بعض أفراده ، وهذا لا يعنى أنه مقصور على هذا البعض من حيث الدلالة ، وبذلك يكون كل ما يحبس المحرم عن إتمام الحج والعمرة احصارا ، وليس نزول الآية بسبب ما كان من منع قريش للمسلمين عام الحديبية مسوغا لقصر معنى الاحصار على منع العدو ؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

فمن أحصر عن الحج والعمرة بكل ما يحبس المحرم عن الاتمام ، فلا يحل من احرامه حتى يقدم ما تيسر من الهدي ، والهدي يطلق على ما يهدى إلى الحرم من الأنعام خاصة ـ وهي الابل والبقر والغنم ـ تقربا إلى الله عز وجل ، فهو بمنزلة الهدية يهديها الانسان إلى غيره تقربا إليه ..

وقد أومأت الآية الى الهدي ثلاث مرات ؛ الأولى في حالة الإحصار ، والثانية في حالة الاعتداء على الاحرام بفعل محظور من محظوراته ، والثالثة في حالة التمتع بالتحلل من العمرة إلى الحج ..

وبالاضافة إلى ما ورد في آية البقرة عن الهدي تحدثت عنه بعض الآيات في سورة المائدة والحج ، كما تحدثت عنه بعض الاحاديث النبوية ، وما جاء في الكتاب والسنة عن الهدي يبين أنه شعيرة من الشعائر التي يجب المحافظة عليها « **يأيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد** » (المائدة/٢) ، ويشير إلى سوق الهدي وتقليده وإشعاره « **جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد** » (المائدة/٩٧) كذلك يتناول طلب الهدي على وجه التعيين أو على وجه التخيير ، وأين ومتى يذبح ، ومتى يجوز الأكل والتزود منه ومتى لا يجوز ؟ والهدي قد يكون واجبا أو مستحبا ، فهو مستحب للحاج المفرد ، والمعتمر المفرد ، ويجب على القارن والمتمتع ، وعلى من ترك واجبا من واجبات الحج كالاحرام من الميقات ، ورمي الجمار ، كما يجب على من ارتكب محظورا من محظورات الاحرام كالتطيب والحلق ، وعلى من جنى على الحرم بالتعرض لصيده ، أو قطع شجره .

وقد اتفق العلماء على أن الأفضل في الهدي الابل ثم البقر ، ثم الغنم ، وأن أقل ما يجزىء عن الواحد شاة ، أو سبع بدنة أو بقرة ، وأنه ينبغي أن يراعى في الهدي أن يكون انفع للفقراء ، فتتوافر فيه السلامة من العيوب التي تؤثر في استسمانه ، أو كماله .

وقد حمل الجمهور حديث آية البقرة عن هدي الاحصار على الوجوب ، وذهب الامام مالك إلى أنه لا يجب على المحصر هدي ؛ لأن ما ساقه النبي صلى الله عليه وسلم في عام الحديبية كان متنفلا به ، ولأنه لم يكن مع كل الذين احصروا في هذا العام هدي ، وقد رد الامام الشوكاني ما ذهب إليه الامام مالك ، وانتصر للجمهور ، وعد ما ذهب إليه هذا الامام من الغرائب التي يتعجب من وقوع مثلها من أكابر العلماء . (نيل الأوطار جـ ٥ صـ ١٧٥) .

ولعل الراجح أن المحصر إذا تيسر له الهدي فعليه أن يذبح بقدر يسارته على حد تعبير ابن كثير ، شاة ، أو بقرة أو بدنة ، فإذا لم يتيسر له ذلك فلا يجب عليه شيء ، ولعل المقصود من الذبح عند الاستطاعة تحصيل بعض مصالح الحج بقدر الامكان ؛ لأنه إذا فات المحصر المناسك ، فلا يجدر به أن يفوته تعظيم شعائر الله ، ونفع فقراء الحرم بتقديم الهدي « **ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب . لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق** » (الحج ٣٢/٣٣) .

وليس لهدي الاحصار بدل يحل محله عند العجز عنه ، ولم يخير المحصر بين هذا الهدي وغيره من طعام أو صيام أو نسك ، فهو هدي معين متى تيسر ، ولكن هدي الاعتداء على الاحرام أو على الحرم جاء الأمر به على سبيل التخيير بينه وبين غيره ، ولهدي التمتع بدل عند العجز عنه .

وللعلماء آراء متعددة في المحل الذي يذبح فيه المحصر هديه ، وهل يجوز له التحلل قبل الذبح ، وهل يجب عليه قضاء ما احصر عنه ؟

والذي يمكن استخلاصه من تلك الآراء ؛ وفقا لقواعد التشريع العامة التي تراعى التيسير ، وتمنع الحرج ، ومن ثم لا يكلف شرعا إلا بفعل ممكن مقدور للمكلف ـ أن المحصر أيا كان سبب احصاره يذبح هديه في المكان الذي احصر فيه ، إذا لم يستطع أن يبعث به إلى الحرم ، وذلك أن الأصل في الهدي أن يبلغ الكعبة ؛ لقوله تعالى : « **هديا بالغ الكعبة** » (المائدة/ ٩٥) . وحال الاحصار حال ضرورة ، فجاز أن يذبح هدي الاحصار في موضع الحصر ، ودون انتظار ليوم النحر ، إذا يئس المحصر من الوصول الى البيت ، والنهي في قوله تعالى : « **ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى محله** » هو نهي عن الاحلال قبل بلوغ الهدي المكان الذي يذبح فيه ، وهو بالنسبة للمحصر موضع الحصر ، وبالنسبة لغيره الحرم ، وقد خص النهي عن الحلق دون غيره من محظورات الاحرام كالطيب ، تمهيدا لقوله تعالى : «**فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه**» .... ولهذا قصر بعض المفسرين الآيات التي تبين ان محل الهدي الحرم على الآمن الذي يجد الوصول إلى البيت ، أما المحصر فلا يكلف بها ؛ بدليل نحر النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه هديهم بالحديبية ، وليست من الحرم .

والآية صريحة في أن الحلق لا يكون إلا بعد بلوغ الهدي محله ، سواء فسر المحل بالذبح أو مكانه وزمانه ، وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن المحصر لا يكلف بهذا ، وإنما يكلف الآمن ، فيجوز أن يتحلل المحصر قبل ذبح هديه ، بيد أن الآية خطاب لجميع الأمة ، ولا ينبغي أن تقصر على حالة دون حالة مادام لايترتب على ذلك مشقة بالغة ، أو حرج يوقع في عنت ، فلا يتحلل المحرم مطلقا إلا بعد بلوغ الهدي محله إن تيسر له .

ولا يجب على المحصر قضاء ما أحصر عنه على الرأي الراجح ؛ لاقتصار الآية على الهدي ؛ ولأن عمرة القضاء سميت بذلك للمقاضاة التى وقعت بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قريش ؛ لا أن هذه العمرة كانت قضاء واجبا عما احصر المسلمون عنه ، ولأن الحاج أو المعتمر الذي سعى إلى البيت الحرام لأداء النسك ، وتكلف ما تكلف من الجهد والمال ، ثم حيل بينه وبين اتمام ما سعى اليه ، لأمر لا قبل له به ، ولا اختيار له فيه ، كيف يجب عليه ان يقضي ما احصر عنه ، وهو ليس مسئولا عن احصاره ، وقد لا يستطيع بعد ذلك ان يتخذ إلى ربه سبيلا ؛ لضعف صحته أو فقره وفاقته ،

وطوعا لهذا يكون المحصر في حكم من أدى المناسك ويسقط عنه ما فرض عليه ، فلا يكلف الله نفسا إلا وسعها .

وإذا كان هدي الاحصار يذبح في المحل الذي احصر فيه المحرم مادام قد عجز عن أن يصل الى الحرم فإن ما عدا هذا الهدي لا يذبح إلا في الحرم ، وليس بلازم ان يذبح في منى فكل فجاج مكة وطرقها منحر كما أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومع هذا ينبغي الالتزام بالواقع العملي المعاصر الذي خصص أماكن للذبح والسلخ ، من أجل المحافظة على النظافة والصحة العامة وتنظيما أمثل للانتفاع بلحوم الهدي التي كانت تذهب طعمة للثرى .

ويبدأ وقت الذبح بيوم النحر ، ويمتد إلى آخر أيام التشريق ؛ وذلك في غير هدي الكفارات والنذر ؛ لأنه لا يتقيد بوقت ، كما أن هدي التمتع يجوز أن يقدم ذبحه على الوقوف بعرفة بعد الاحرام بالحج أو قبله بعد التحلل من العمرة ، وإن كان من العلماء من ذهب إلى عدم جواز ذبح هذا الهدي قبل يوم النحر .

ويجوز الأكل باتفاق من هدي التطوع ، كما يجوز **التزود** والاهداء منه ، ما لم تكن هناك ضرورة تفرض عدم التزود ، وقد اختلف في مقدار ما يؤكل من هذا الهدي ، وما يهدى منه وما يتصدق به ، ولكن المسلم الذي له في رسوله الكريم أسوة حسنة يسارع إلى البذل والانفاق في إيثار ، ويجود بخير ما لديه دون أذى ، وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نحر مائة من الابل في حجته ، وأمر علياً كرم الله وجهه أن يتصدق بلحومها وجلودها وجلالها ، وهو كساء تلبسه الدابة لتصان به ، كما أمره أن يأخذ من كل بدنة بضعة أى قطعة من اللحم لاعداد الطعام الذي أكل منه الرسول صلى الله عليه وسلم (زاد المعاد جـ ١ صـ ٣٠٢) .

ولم يتفق الفقهاء فيما سوى هدى التطوع من حيث جواز الأكل منه ، فمنهم من يرى عدم جواز الأكل من الهدي الواجب كله ، ومنهم من يقصر عدم جواز الأكل على فدية الأذى وجزاء الصيد والنذر ، دون غيره من الهدي الواجب ، ومنهم من يذهب الى جواز الأكل من هدي المتعة وهدي القران . ولكن الأمر بالأكل من الهدي في القرآن جاء مطلقا لم يخصص نوعا منه: « **والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون** » (الحج/٣٦) .

ويقول الشوكاني تعقيبا على ما أورده من أحاديث في باب الأكل من دم التمتع والقرآن والتطوع : والظاهر أن يجوز الأكل من الهدى من غير فرق بين ما كان منه تطوعا وما كان فرضا لعموم قوله تعالى : « فكلوا منها » ولم يفصل ، والتمسك بالقياس على الزكاة في عدم جواز الأكل من الهدي الواجب لا ينتهض لتخصيص هذا العموم ؛ لان شرع الزكاة لمواساة الفقراء فصرفها

إلى المالك اخراج لها عن موضعها ، وليس شرع الدماء كذلك ، لأنها إما لجبر نقص ؛ أو لمجرد التبرع فلا قياس مع الفارق فلا تخصيص » (نيل الأوطار جـ ٥ صـ ١٩٢) .

وإذا كانت ظروف عصرنا لا تتيح سوق الهدي من خارج الحرم وتقليده واشعاره فإن شراء الهدي من داخل الحرم يعد سوقا له ، أما الاشعار وهو أن يشق أحد جنبي سنام البدنة أو البقرة إن كان لها سنام حتى يسيل دمها ، ويجعل ذلك علامة لكونها هديا فلا يتعرض لها ، وكذلك التقليد وهو أن يجعل في عنق الهدى قطعة جلد ونحوها ليعرف بها أنه هدي ـ فقد استحبه عامة العلماء ، وعللوا له بأن فيه تعظيما لشعائر الله وإعلام الناس بأنها قرابين تساق إلى البيت الحرام لتذبح تقربا إلى الله .

وهذا التعليل للاشعار والتقليد فقد معناه في العصر الحاضر ، ومادام الحكم يدور مع علته وجودا وعدما فإن الاشعار وكذلك التقليد ليس لهما ما يسوغ الآن الالتزام بهما ، فضلا عن أن بعض الفقهاء كرهوا الاشعار ومنهم الامام الأعظم أبو حنيفة .

ومع الجهد الطيب الذي يبذل للانتفاع بلحوم الهدي ، ونقلها الى مناطق الحاجة اليها مازالت مشكلة الهدي في حاجة الى نظرة فقهية جديدة ، نظرة فقهية تجمع بين أمرين : مراعاة الحكمة من إراقة الدماء ، وحماية أموال المسلمين من أن تذهب سدى ، وهم في عصر يقتضي منهم أن يحافظوا على كل أسباب القوة التي أمروا بإعدادها ؛ ليرهبوا أعداء الله ، واعداء الحياة ، فقد تداعت عليهم القوى المضادة من كل جانب ، ولا سبيل لهزيمتها والحيلولة بينها وبين ما تبيته لهم إلا بالقوة بمفهومها الاسلامي الشامل .

وتشير الآية بعد حديثها عن الاحصار والهدي إلى ما قد يعرض للمحرم من ارتكاب بعض المحظورات في فترة الاحرام « **فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك** » .

لقد فرض الله الحج على المستطيع مرة واحدة في العمر ، وحظر على المحرم أن يحدث في الحرم ما يعكر صفوه وأمنه من قول أو فعل « **فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج** » (البقرة/١٩٧) وشمل هذا الحظر الانسان والحيوان والنبات « **وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما** » (المائدة/٩٦) كما حظر على المحرم من ناحية ثانية لبس المخيط من الثياب ، وتقليم الأظافر وإزالة الشعر بالحك أو القص أو النتف ، وكل هذه المحظورات لم يقصد بها سوى أن تكون فترة الحج فترة تجرد كامل لله ، وفترة سلام واطمئنان يستمد منها المسلمون في كل عام معاني الحب والتآلف والتعاون على الخير في السراء والضراء .

والله الرحيم بعباده بين في هذه الآية أن المحرم إذا تعرض في فترة الاحرام لمرض في جسمه أو رأسه فارتكب بعض ما منع منه من حلق شعره أو نتفه أو تغطية رأسه أو لبس الثياب المخيطة فعليه فدية من صيام أو صدقة أو نسك ، والرأي المعول عليه في الصوم أنه ثلاثة أيام أو إطعام ستة مساكين أو ذبح هدي ، فقد روى عن عبدالرحمن بن أبي ليلى أن كعب بن عجرة حدثه قال : وقف عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية ورأسي يتهافت قملا ، فقال : يؤذيك هوامك ، قلت : نعم ، قال : فاحلق رأسك ، أو احلق ، قال : في نزلت هذه الآية : «**فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه**» إلى آخرها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : صم ثلاثة أيام أو تصدق بفِرق (مكيال معروف بالمدينة وهو ستة عشر رطلا) بين ستة أو انسك بما تيسر ، رواه البخاري .

فالمحرم الذي ارتكب بعض محظورات الاحرام مخير بين الصيام والاطعام وذبح النسك ؛ شاة أو نحوها ؛ أخذا بما نصت عليه الآية الكريمة .

وكما طلب الهدي بفعل محظور من محظورات الاحرام ، أو في حالة الاعتداء على الاحرام على وجه التخيير بينه وبين غيره من الصيام والاطعام طلب على هذا الوجه أيضا في حالة الاعتداء على الحرم بقتل صيده أو قطع شجره « **يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ، ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما** » (المائدة/٩٥) .

وتناول الجزء الأخير من الآية التمتع وآثاره « **فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام** » .

ويلاحظ أن الحديث عن التمتع سبق بالاشارة الى الأمن ، فلا خوف أيا كان مصدره ، مما يدل على أن التمتع لا سبيل إليه في حالة احصار أو خوف .

وللتمتع لدى الفقهاء عدة صور المجمع عليه منها ـ وهو المراد بهذا الجزء من الآية ـ أن يحرم الانسان من غير مكة بعمرة في اشهر الحج ـ وهي شوال وذو القعدة والعشرة الاولى من ذي الحجة ـ حتى إذا أداها أقام غير محرم بمكة إلى أن ينشىء الحج منها في عامه ذلك قبل رجوعه إلى بلده ، أو قبل خروجه إلى ميقات اهل ناحيته ، فإذا فعل ذلك كان متمتعا ؛ لأنه تحلل من احرامه بالعمرة ، وتمتع في اشهر الحج بما كان محظورا عليه وهو محرم .

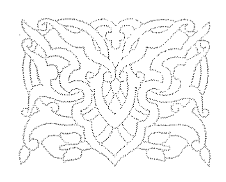
فهذه الصورة المجمع عليها للتمتع ينبغي أن يتوافر لها ثمانية شروط هي : الجمع بين الحج والعمرة في سفر واحد وفي عام واحد ، وفي أشهر الحج ، مع تقديم العمرة على الحج ، وأن يكون احرام الحج بعد الفراغ من العمرة ، وأن تكون العمرة والحج من شخص واحد ، وأن يكون من غير أهل مكة (وانظر تفسير القرطبي جـ ٢ صـ ٣٩١) .

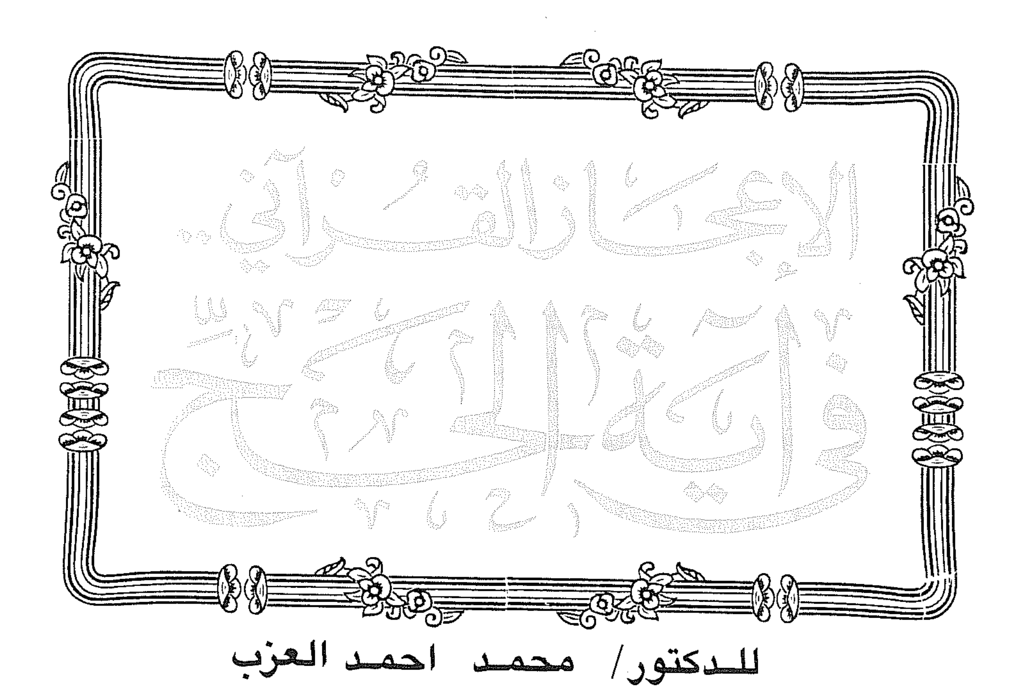
فمن تمتع على هذا الوجه يجب عليه ما أوجب الله على المتمتع ذبح ما استيسر من الهدي ، شاة او نحوها يوم النحر أو قبله في رأي بعض الفقهاء ، فمن لم يجد الهدي لعدمه أو عدم المال صام ثلاثة أيام بمكة في اشهر الحج ، إما بين الاحرام بالعمرة والحج ، أى في أيام التمتع ، وإما في ايام الاحرام بالحج ، ولكن ليس له صيام يوم النحر بالاجماع ، واختلف في صيام أيام التشريق ، وهذا كله على من لم يكن من أهل مكة ، فمن كان من أهلها فلا شيء عليه إذا تمتع ، وذهب بعض الفقهاء إلى أن من كان من أهل مكة فلا متعة له ..

ويفهم من الآية أن هناك حجا واعتمارا على غير هذا الوجه ـ وجه التمتع ـ وقد ذكر العلماء أن الحج والعمرة على ثلاثة ضروب هي : التمتع والافراد والقران ، وقد اختلف في أفضلها ، لتعارض الأحاديث في ذلك ، وقد أومأت آنفا إلى التمتع ، أما القران فهو أن يحرم بالحج والعمرة معا ، أو يحرم بالعمرة ثم يدخل عليها الحج أو العكس ، والافراد هو الاحرام بالحج وحده ، ثم يعتمر بعد أدائه .

والآية في ختامها تدعو إلى تقوى الله بامتثال أوامره ، ومراعاة حرماته ، وتذكر العباد بأن الله شديد العقاب لمن يخالفون عن أمره ويفرطون في جنبه ، علهم بذلك يعتصمون بحبل الله ، ويستمسكون بما يكفل لهم سعادة الدارين « **واتقوا الله اعلموا ان الله شديد العقاب** » .

وبعد فهذه آية من آيات الحج والعمرة في كتاب الله عرضت لها في ايجاز واجمال ، سائلا الله تبارك وتعالى أن يرعى حجاج بيته وزواره ، وأن يكون لقاؤهم السنوى في رحاب البيت الحرام تدعيما لوحدتهم وتراحمهم وتناصرهم ، حتى يكونوا بحق أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ، يسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم .





للدكتور/ محمد احمد العزب

١

من جوانب الاعجاز القرآني تألق هذا الاعجاز حتى في الآية الواحدة فضلا عن السياق بتمامه ، وهو جانب لم يظفر من جهود العلماء بما هو جدير به من التضوىء والتحديد ، إذ انحصرت جهودهم أو كادت في تأمل السياق القرآني ، لأنه بالطبع أدل على حقائق الاعجاز ، وأقدر على تجسيد جواهره .

والمتأمل لآية الحج : (**الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقونِ ياأولي الألباب**) البقرة/ ١٩٧ .. يلاحظ ان هذه الآية القرآنية اختصرت ملامح عبادة كاملة من العبادات الأساس في الاسلام ، وأنها تفيض ببلاغة الاعجاز الالهي حتى انها لتفجر في الحس المتلقي اشمل من معاني الحج ، وأرحب من طاقة التعبير .. وسنرى :

(**الحج اشهر معلومات**) : جملة تختصر حكمة التشريع في كل العبادات الاسلامية من حيث ارتباط هذه العبادات جميعها بالأطر الزمانية والمكانية ارتباطا جذريا حميما .

فالصوم له علاقة جذرية بالاطار الزماني الذي يتحدد في شهر معين من السنة ، وبالاطار المكاني الذي يتحدد في الحل وليس في السفر .

والصلاة : لها علاقة جذرية بالاطار الزماني ، فلكل فرض وقته الخاص بحيث لا نستطيع مثلا ان نصلي الصبح بعد العصر ولا العشاء قبل المغرب .. وبالاطار المكاني ، الذي هو

ـ بالدرجة الاولى ـ المساجد . ثم بأماكن تتسم بطابع الطهر والنقاء .

والزكاة : لها علاقة جذرية بالاطار الزماني وهو الحوْلِ او حصاد الزرع ..

وبالاطار المكاني . وهو هنا المحل او من يمكن اخراج الزكاة له دون غيره فلا تجزىء زكاة المزكي مثلا اذا اخرجها لمن تلزمه نفقتهم .

اما الحج : فيوشك أن يكون ألصق هذه العبادات بالتحدد في إطاريْ الزمان والمكان ، فالزمان هو أشهر الحج . والمكان هو المشاعر المقدسة ، وهل يجزىء حج لا يلتزم التزاما لا ينفك بهذين الاطارين ؟

ولعلنا ـ في إطار اعجاز هذا النص ـ لانخطىء الحكمة في هذا التماس مع الاطر الزمانية والمكانية في كل او معظم فرائض الاسلام لانها تومىء الى ادارة التنظيم وجماعية الحركة واستهداف ربط الارض بالسماء واحياء مغارس الحس التاريخي ، ورفع العنت عن التاعبين ، والعطاء لوجه الاخوة الاسلامية لالوجه الاخوة النوعية .

٢

واذا كانت كل فريضة من الفرائض الاسلامية تحكم بقوانينها الخاصة ، فتبطل الصلاة ـ مثلا ـ بالكلام أو الحركة الخارجة ، ويبطل الصوم بممارسات شهوتي البطن والفرج وتبطل الزكاة والصدقات بالمن والاذى ؛ فان الحج من خلال اعجاز السياق في هذه الآية ـ يبطل بهذه المفارقات : الرفث والفسوق والجدال اللدود : (**فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولاجدال في الحج**) .

ولعلنا ـ في ظلال هذا الفهم ـ نفضي من تأمل هذه الدوائر الثلاث الى حتمية تعانقها وافضاء بعضها الى بعض :

فالرفث ممارسة ذاتية تتم في اطار رجل واحد وامرأة واحدة ، أبقا معا عن امر الله ... والفسوق ممارسة جماعية تتم في إطار العلائق المدمرة بين الفرد والهيئة الاجتماعية التي ينتمي اليها .. والجدال ممارسة تبريرية او تضليلية تتوفر على محاولة تفويت ما تم من رفث او فسوق والتمهيد لمزيد من الفسوق والرفث ، ليس من خلال اي منطق عقلاني او عقيدي ، وانما من خلال (جدال) عبثي غير ملتزم يبرر الخطل ويضلل عن الجريمة ويحدث في الجماعة الاسلامية ارتباكا سلوكيا وقيميا ليس له حدود .

ولعل مطلع الجملة القرآنية يشير اشارة حاسمة الى أن قضية التزام المحرم بأخلاق الاحرام قضية طوعية في اساسها : (**فمن فرض فيهن الحج**) اي على نفسه ، اي احرم به فصيره بهذا الفعل الطوعي فرضا حتى ولو كان نفلا ، ولكنها ـ متى تم ذلك ـ توجب على المحرم ان يلتزم التزاما صارما بأخلاقيات الاحرام : فلا رفث ولا فسوق ، ولا جدال في الحج .. كما يؤكد الاشعاع الاعجازي في هذه الكلمات .

٣

(**وما تفعلوا من خير يعلمه الله**) : يقول العلماء : ان (من) هنا

لتنصيص العموم فكل خير وكل فضيلة وكل طاعة وكل عبادة داخلة في اطار هذا المفهوم .. واذن فالخير على ضوء هذه الوضعية اللغوية يصبح شاملا لمنادح الفعل الفاضل في كل اتجاه :

يشمل السلوك النظيف الذي يمارسه الحاج فيكون به تجسدا عمليا لقيم الاسلام وتعاليمه الفاضلة كما يكون به كذلك قدوة لجماهير الامة المسلمة مع ملاحظة ان ممارسة السلوك النظيف ربما تبدأ من منطلق تقليدي يتشبه الانسان فيه بالاخرين ولكنها تفضى الى قانون حياة وشريعة حركة يومية ودائمة على السواء .. ويشمل التضامن السخي الذي يحتضن في افيائه الاغيار ، فينشر جوا من الرخاء والنعمة في هذا المناخ الكادح بالسعي الى الله الناصب في رحلة الذهاب والاياب الى المناسك ومن المناسك جميعا ... وربما بدأ التضامن ارهاصاً هنا في رحلة الحج ولكنه لا يلبث ان يستحيل تضامنا مصيريا يرتبط بحركة الوجود المسلم في كل الآناء ..

ويشمل العلم الراشد الموجه الذي يبصر جماهير المسلمين - في هذا المؤتمر العالمي - بواقع تاريخهم المثخن وحقائق ماضيهم الاعز ، وآمال مستقبلهم الذي ينبغي ان يكون بحجم الماضي وضاءة وامتلاء ، وليس العلم المستهدف هنا مجرد الحركة التوجيهية الترشيدية فحسب ولكنه الحركة الباحثة في طاقات المادة وتفجير الذرة وامتلاك عصر الصناعات كذلك لان العلم في الاسلام هو هذا العلم الشامل الرحيب علي انه ينبغي ان نلاحظ ، ونحن نتأمل جوانب الاعجاز في اية الحج هذه ان الوان الخير هنا كلها عبادات : فالسلوك الفاضل ليس تعليما فقط ولكن كذلك عبادة .. والتضامن السخي ليس عطاء ومؤازرة فقط ولكنه كذلك عبادة .. والعلم الراشد الموجه ليس اضاءة وعملا على تحديث واقع المنظومة الاجتماعية المسلمة فقط ولكنه كذلك عبادة .. لان من مسلمات المنطق الاسلامي انه عن سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامة من غير ان ينقص ذلك من أجورهم شيئا .. وهذا هو (الخير) المقصود في سياق قوله تعالى **(وما تفعلوا من خير يعلمه الله)** .. على ان علم الله هنا يخطو بالقضية الخيرية خطوة اخرى لانه علم يحقق في الفاعل الخير معنى المراقبة ونبالة القصد فقد نفعل الخير لكي يقال : اخيار .. وقد نلتزم سلوكا نظيفا لنحصل به مكانة اجتماعية سامقة في الناس ، وقد نتضامن لنشكل من اطراف التضامن محورا من محاور القوة الذاتية ، وقد نبذل العلم لنؤكد اتجاها خاصا او لنمرر بعض التجاريب المعينة .. واذن فالخير قد يفعل ولكن من منطق اناني او من منطق عدواني مادام هذا الخير غير محروس بقيم إلهية معينة .. اما ان يكون (الخير) هنا محوطا بهذا الاطار المضيء : (يعلمه الله) فان القضية كلها تصبح ناطقة بمزيد من بركة القصد وايمانية القرار .

ولا ينبغي ان يفوتنا تأمل وضعية قرآنية معجزة في هذا المجال ، وهي ان

(الخير) في هذه الجملة القرآنية : (**وما تفعلوا من خير يعلمه الله**) محوط ليس باطار واحد ، وانما باطارين : الاطار الاول قول الله تعالى : (**وما تفعلوا**) والاطار الثاني قوله : (**يعلمه الله**) .. في الاطار الاول يتبدى الخير مفعولا وليس مجرد مقول : (**وما تفعلوا**) .. وفي الاطار الثاني يتبدى الخير مراقبا بعلم الله وليس سائبا في هوى الفعل البشري : (**يعلمه الله**) .. ومتى تم للمسلم ـ في فريضة من الفرائض ـ تحصيل خير مشروط بالفاعلية من جهة وبالمراقبة الالهية من جهة اخرى كان ذلك حصادا لموسم رائع الثمار .

٤

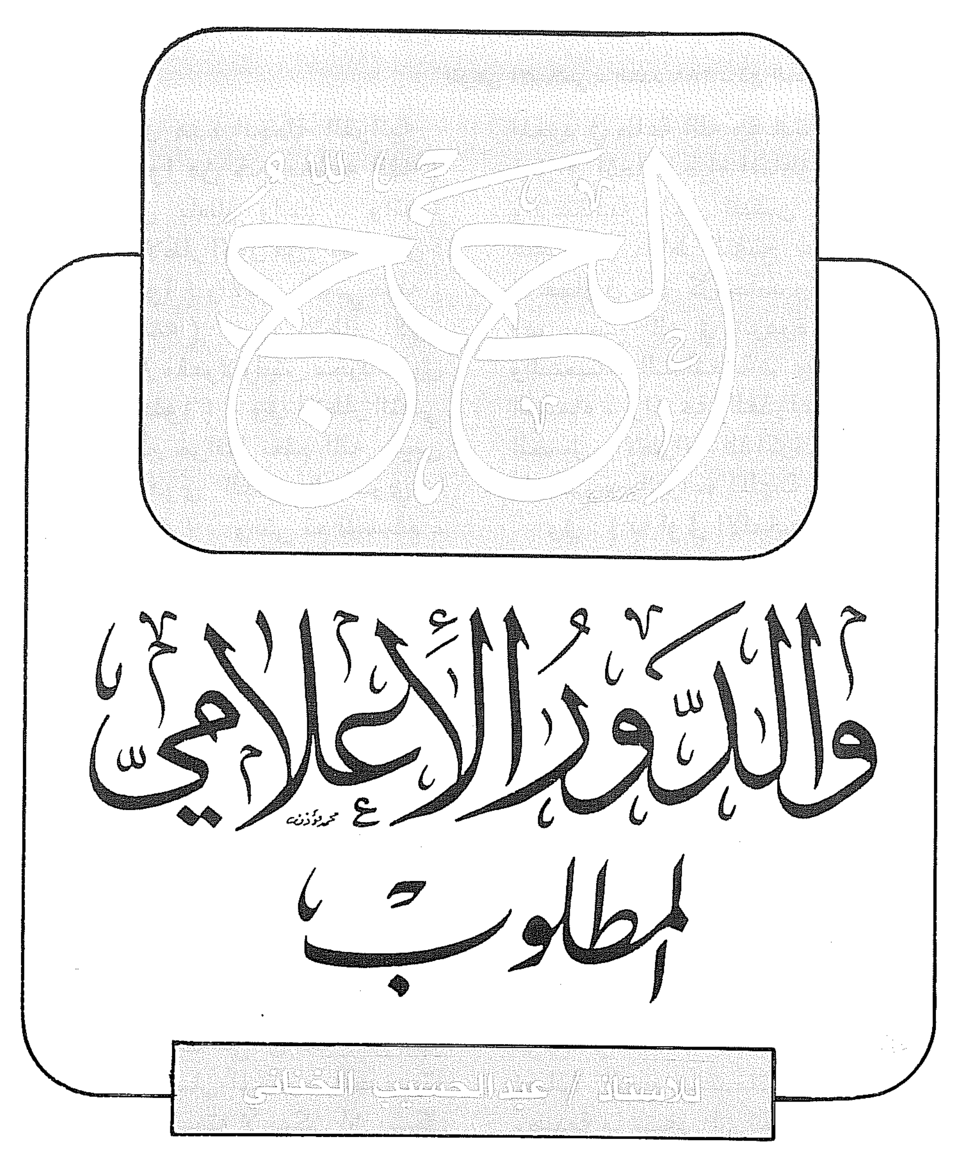
(**وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا ولى الالباب**) .. هنا مناط اعجاز اخر فالتقوى تنصرف الى معنى اتقاء غضب الله واجتناب المواجهة العاصية معه .. لان المواجهة تصبح معادلة مهزوزة بلا حدود اذا ارادها الانسان المتفلت على ان تكون مواجهة مع الله فالانسان المحكوم بمحدوديته المحاصر بعرضيته لا يمكن ان يشكل أية مواجهة متكافئة مع الله لانه اصغر قامة من ان يطول الافق ولأن قصاراه ان يتقي هذه المواجهة لأنه مدمر فيها بلاحدود .. فاذا جاء الخطاب من الله القوي القادر الى البشر العاجزين : (**واتقون يا أولي الألباب**) كان ذلك إيماء رائعا الى حجم الحدب الالهي ونوعية ما يشمل به الانسان من عطف كبير .

وقد تنصرف التقوى الى الاخلاص المجرد في طاعة الله وعبادته وهي هنا عمل في اتجاه احياء المناطق الايمانية والاعتقادية داخل النفس لان القلب التقي هو مناط التفتح على حقائق الاعجاز في خلق كل جامد وكل متحرك فهو يسبح الله في الزهرة الطالعة ، والسماء الدامعة ، والصخرة الصماء ، والموجة العذراء ، والوجه الجميل والإطراقة الذاكرة ، والجذع المنحني ، والبراءة الملهمة .

وفي : (**يا أولي الألباب**) دعوة الى تحريك العقل في اتجاه فهم المعادلة . معادلة الخالقية والمخلوقية ودعوة اخرى الي تحريك هذا الفهم في اتجاه التحقق الفعلي الذي ينأى بالانسان عن مصادمة الخالق لان الصدام محسوم حتى قبل ان يبدأ ولان امتلاك العقل يؤكد صيرورة العبد الى عبوديته ، وصيرورة هذه العبودية الى معبودها وبذلك تتحقق ا لتقوى ويملك العقلاء عافية البصر الرشيد في قضية الفهم عن الله .

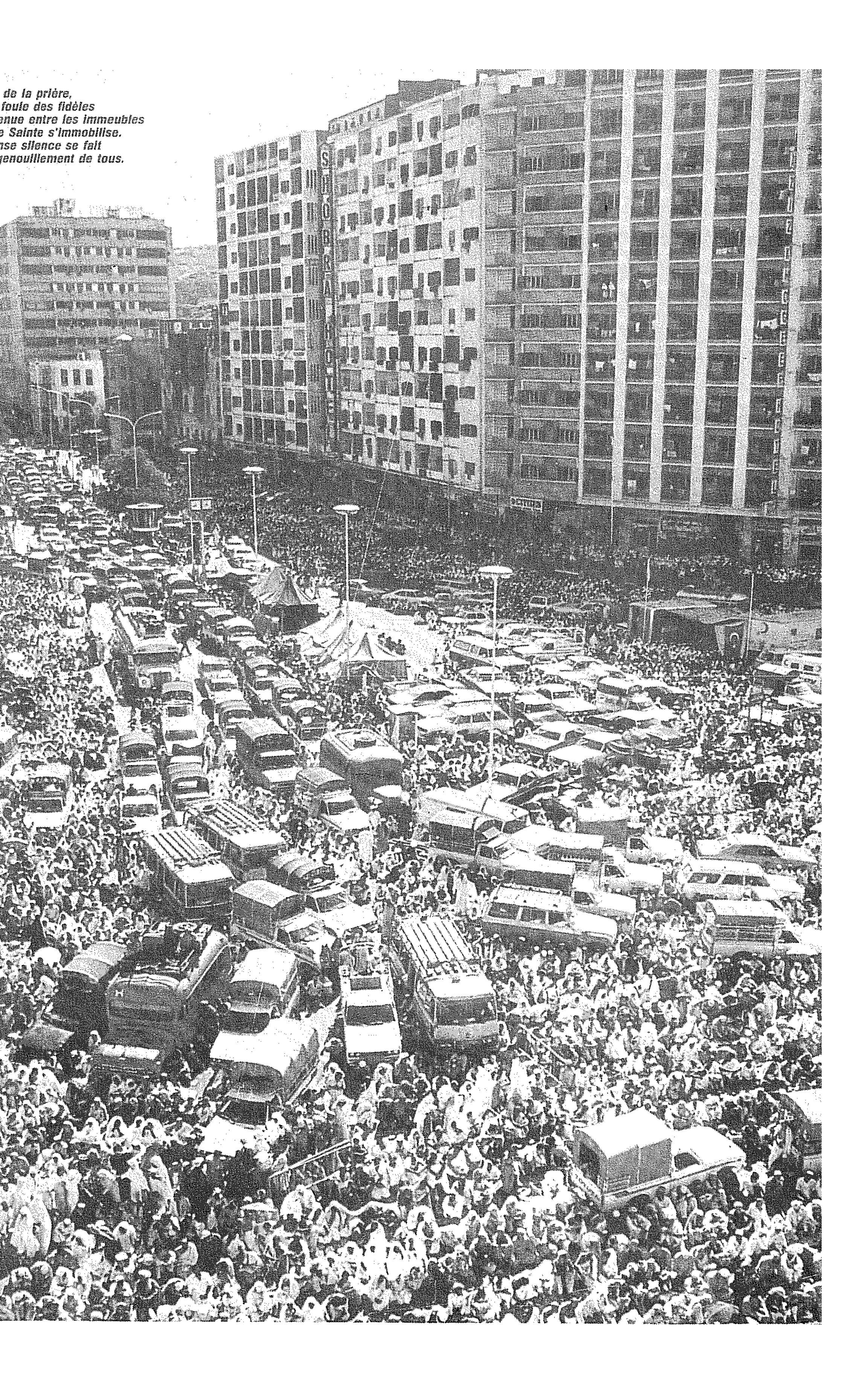
هذه بعض جوانب الاعجاز في آية قرآنية واحدة . رسمت لوحة ناطقة لعبادة الحج بمقدماتها وشروطها وطبيعة ما ينبغي ان تكون عليه .. ثم الهمت عديدا هائلا من اسرار العبادات كلها في الاسلام .. ثم حركت النص في اتجاه الواقع المسلم فأضاء منه هذه الزوايا المتعددة ..

ومن هنا تلوح حاجتنا الى دراسة (**نصية**) لقضايا الاعجاز في القرآن الكريم ، ولا نكتفي بسرد تاريخ هذا الاعجاز وحده فان في مناجم النص القرآني آلافا من الكنوز تهيب بطاقاتنا ان تتحرك في اتجاهها بلا ملال !!



الحج .. مؤتمر سنوي عالمي جعله الله سبحانه وتعالى الركن الخامس من أركان الدين الحنيف ، وفرضه على القادرين من عباده المسلمين يأتون الى بيته العتيق من جميع بقاع الارض وفجاجها ليستغفروا ربهم ، ويطهروا انفسهم مما علق بها من ذنوب ويراجعوا حساباتهم ويصححوا مسيرتهم ويوثقوا علاقاتهم بربهم وببعضهم البعض ..

والحج .. من وجهة نظر إعلامية مسلمة ـ هو استجابة ورجع صدى



de la prière,
foule des fidèles
enue entre les immeubles
e Sainte s'immobilise.
nse silence se fait
genouillement de tous.

للرسالة التي أمر الله سيدنا إبراهيم أن يذيعها في الناس وهي الأذان فيهم بالحج ، فقام إبراهيم الخليل بتبليغ الرسالة الاعلامية الالهية التي انطلقت من مركز الدائرة الارضية بجوار الكعبة المشرفة ، والتي تمثل - بتعبير الاعلام الحديث - المركز الرئيسي للارسال الاذاعي الذي حمل صوت ابراهيم الخليل - وهو وسيلته الاعلامية - إلى جمهور الناس .

وكان تأثير هذه الرسالة الصوتية أن لباها الناس واستجابوا للأذان إلى قيام الساعة ، وأتوا إلى بيت الله الحرام رجالا وركبانا من كل فجاج عميقة بعيدة ، ومن شتى الأرجاء ، كأنهم يعودون إلى تذكر البيت الذي هو أول بيت وضع للناس ، ولكن شغلتهم عنه زخارف الحياة الدنيا وأمتعتها مع ان الله تعالى يذكرهم به صباح مساء في كتابه المجيد حين يقول جل وعلا : (**إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين**) . آل عمران /٩٦-٩٧ .

الأذان بالحج عملية اتصالية متكاملة

وإذا كانت العملية الاتصالية في المفهوم الاعلامي المعاصر تتكون من عدة عناصر لاغنى عنها لأية عملية اتصالية يراد لها ان تتم بنجاح ، وهذه العناصر تشمل : المرسل وهو القائم بالاتصال ، والمستقبل وهو جمهور المتلقين والرسالة : وهي المضمون الذي يراد توصيله للناس في قالب رمزي هو لغة التفاهم بالاضافة إلى الوسيلة الاعلامية التي يستخدمها المرسل لبلوغ هدفه ، وكذلك رد الفعل أو رجع الصدى . وهو قياس لتأثير المرسل في المستقبل والاستجابة له ..

فان هذه العناصر قد تحققت من خلال سيدنا ابراهيم عليه السلام قبل ان يعرفها رجال الاعلام المعاصرون الذين بلوروا هذه العناصر ، وذلك في قول الله تعالى لنبيه ابى الانبياء عليهم جميعا الصلاة والسلام : (**وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق • ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على مارزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير**) الحج /٢٧و٢٨ .

ففي الآيتين الكريمتين نعرف المرسل : العنصر الأول في العملية الاتصالية وهو سيدنا إبراهيم الذي خاطبه الله بقوله « وأذن » والمستقبل هو « الناس » والرسالة هي « الحج » وبدهى ان تكون الوسيلة التي يستخدمها هي صوته الذي سيؤذن به في الناس ، وتكون استجابة الناس لنداء ابراهيم محددة في قوله تعالى : (يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) والهدف الذي رمت إليه رسالة ابراهيم عليه السلام ، لم

يكن مقصورا على مجرد الدعوة إلى الحج فقط ولكن لارشاد الناس إلى مافي تلبية نداء ربهم من الخير العميم لهم في دينهم ودنياهم واخراهم وتوجيههم إلى الطريق المستقيم الذي يربطهم بالله .. وليس كما هو الحال في وسائل الاعلام الحديثة من غربية أو عربية تلك التي تسعى إلى ملء الفراغ الزمني ببرامج اللهو والترفيه والفن والرياضة والثقافة التي اختلط عربيها بغربيها المستورد ، وقليل من البرامج الدينية الموضوعة في قالب تقليدي جامد بهدف تنفير الناس من برامج الدين ومن ثم توجيههم إلى المنوعات الفنية والمسلسلات الدرامية .

ضرورة ترسيخ الدين والذود عن حماه

إن الهدف الاسمى الذي ينبغي أن تسعى لتحقيقه جميع وسائل الاعلام الاذاعية والمرئية والمطبوعة . لابد ان ينصب على ترسيخ الدين وغرس مقوماته في نفوس ابناء الامة العربية الاسلامية وربط حياتهم به في شتى المجالات التربوية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية قبل هذا كله بحيث يجد الفرد الذي يتعرض لمشكلة ويفكر في حل لها ان الدين يضع الحلول السليمة له قبل أن يلجأ إلى حلول غير إسلامية ،

على إعلام الدول الاسلامية أن يجعل من نفسه حصنا حصينا ضد المؤامرات الغربية التي تستهدف الغزو الفكري للديار الاسلامية ، ويذود عن حمى الاسلام كل منهج منحرف لايستقيم مع عقيدة الأمة أو يستهدف تدمير شبابها وأجيالها المقبلة .

ولن يتأتى ذلك إلا إذا كان رجال الاعلام في بلداننا في مستوى المسؤولية الاسلامية التي تمكنهم من حمل رسالة الاسلام عن رضا وقناعة .. فوسائل الاعلام هي مرآة الأمة ، وإذا كانت هذه المرآة مشوهة أو مشروخة الزجاج ، فلن ترى الأمة صورتها النقية الواضحة ، إذ كيف يتأتى أن يطلب من المجتمع أن يقوم بدوره في عملية البناء والتنمية وبذل الجهد والعرق ووسائل الاعلام تذيع الأغاني الخليعة والمسلسلات المائعة ، التي تحبب له حياة الدعة والكسل ، وتستغل الوقت لاضاعة جهد الناس في مشاهدة او استماع الحفلات الغنائية أو المباريات الرياضية .

هذا بعكس المناسبات التي تهتم بالجوانب الدينية كموسم الحج مثلا فإنها تتناول المناسبة بشيء من الاختصار ولاتستغل مثل هذا الموسم المبارك لتبين للناس فضيلة هذه العبادة ، والخير الكامن في هذا الركن المقدس من أركان الاسلام ، ولاتبين الدور المطلوب من مجتمع المسلمين إزاء معايشة أيام الحج تجاه الله وتجاه بعضهم وتجاه قضاياهم التي أنت وتكاد تحتضر في دهاليز السياسة القومية والدولية .

التماسك والترابط اهم منافع الحج

إن خليل الله إبراهيم عليه السلام

قد أدى دوره المطلوب في الدعوة إلى الحج والتمهيد للاجتماع سنويا في هذا المؤتمر الاسلامي الكبير الذي تدل جميع مؤشراته من قديم الزمان على ضرورة الاتحاد والتماسك والترابط وعبادة الله وتلك كلها منافع يشهدها حجاج البيت الحرام ..

ثم جاء خاتم الانبياء صلى الله عليه وسلم ليكمل الدور في إرساء القواعد الأساسية التي تقوم عليها البناء المسلم في البيت والقرية والمدينة والدولة والأمة الاسلامية جمعاء ، ويوضح أساسيات التعامل بينهم من حقوق وواجبات ، ولم يدع صغيرة أو كبيرة تتعلق بمسيرة الحياة الاسلامية إلا بينها وأظهرها في حجته الأخيرة المشهورة بـ « حجة الوداع » .

فلو أن إعلامنا الحديث استغل خطبته الكريمة الشهيرة في تبصير الناس بمالهم وما عليهم ـ وشرح هذه الخطبة حسب العناصر الواردة فيها والتي تحث جميعها على بناء الانسان المسلم والأمة الاسلامية طيلة فترة الحج ـ لكان لهذه الخطوة ثمار طيبة ونتائج ايجابية في تغيير الواقع الذي يعانيه المجتمع المسلم المعاصر .

ومادور إعلامنا في هذا الموسم المبارك ؟

إذن .. مادور أجهزة الاعلام في بلدان المسلمين في سبيل انجاح موسم الحج على المستوى الفردي والجماعي ؟ وكيف يؤدي رسالته في تلك الايام المباركة ؟

في تصوري للاجابة على ذلك السؤال عدة خطوات يجب ان تضطلع بها أجهزة الاعلام قبل بداية الحج كمرحلة تمهيدية تثقيفية لمن يرغبون اداء الفريضة وغيرهم أيضا وبث الوعي الديني في نفوسهم .. ولابد من التغطية الاعلامية الكافية لموسم الحج حسب الخطوات التالية :

١ ـ المرحلة التمهيدية : وهي مرحلة على درجة عالية من الأهمية إذا أخذنا في الاعتبار أن مجموعة الحجاج من كل بلد من البلدان الاسلامية متفاوتة في المستوى الثقافي الديني ، ومعظمهم على مستوى ثقافي متوسط من ناحية الالمام الكافي الواعي بمناسك وشعائر الحج ، ومن هنا ، يجب أن تبث الأجهزة الاعلامية برامج ارشادية لتعريف الحاج بما سيقوم به من البداية وحتى النهاية .. ومايتخلل ذلك من الادخار للفريضة من الكسب الحلال حتى يكون حجه مبرورا لامأزورا ، واستسماح الناس وانهاء مظالمهم ، والاجراءات الرسمية المتعلقة بالسفر إلى الأراضي المقدسة ثم الاحرام والتلبية وتأدية المناسك يومابيوم حتى العودة مرة أخرى إلى بلده وهو تائب من ذنوبه خارج من خطاياه كيوم ولدته امه ..

وليت اعلامنا المرئي في تلك المرحلة التمهيدية يرطب قلوب المسلمين جميعا بإذاعة فيلم تسجيلي من الأراضي المقدسة يشرح شعائر الحج ومناسكه ويقدمها خطوة خطوة ليروي قلوب المؤمنين ويقيد اغراءات الشياطين التي تتخلل الافلام الخليعة التي تبثها

معظم الاذاعات المرئية في أيام عيد الأضحى المبارك .

٢ ـ مرحلة تأدية الشعائر والمناسك ..

وهذه مرحلة يتم التركيز فيها على إعلام الأراضي المقدسة والبعثات الاعلامية المتواجدة في مكة المكرمة والممثلة للبلدان الاسلامية ، فيتم نقل الصور الحية للمناسك منذ الاحرام وتتحمل مسؤولية تعريف الحجيج بمسائل الحج حتى يكونوا على بينة من أمرهم ، من حيث الافراد بالحج أو القران أو التمتع والطواف والوقوف بعرفة والمبيت بالمزدلفة ومنى ورمي الجمرات وغيرها .. ومساندة العلماء في توجيه الحجيج وإرشادهم إلى الخطوات الصحيحة لتأدية المناسك ..

وليت الأمر يسمح بأن يكون هناك مؤتمر لمناقشة قضايا المسلمين البارزة على الساحة والبحث عن علاج لها ، وتلك منفعة من المنافع التي يجب أن يشهدها الحجيج والتي تعود بالخير على أمة الاسلام وهي من صميم قوله تعالى : (**ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات**) الحج /٢٨ .. كيف لا ، وهذه المناقشة في الحرم الآمن لقضايا الاسلام والمسلمين ـ بعيدا عن المهاترات السياسية ـ تؤدي إلى الوحدة الاسلامية وهي طريق النفع العميم لكل المسلمين لاسيما إذا عمتهم من مكة المكرمة منطلق الاسلام ومهد البعثة المحمدية التي جاءت رحمة للناس وهداية للعالمين .

٣ ـ مرحلة ختام موسم الحج ..

ويتلخص دور الاعلام فيها على طرح انجازات موسم الحج باعتبار أن هذه الانجازات هي الطريق إلى مجتمع اسلامي نقي نفسه من شوائب الماضي وادرانه ، من خلال الجموع العائدة إلى بلدانها تنشر قيم الخير والفضيلة وتتعامل مع المجتمع بأسلوب جديد نابع من عند بيت الله الحرام يعيد للمسلمين صورة الاسلام الاولى وتذكرهم بحياة السلف الصالح الذي ضحى بكل مايملك في سبيل دينه ..

ويعرض الاعلام ماتمت مناقشته من قضايا التوجه الاسلامي والحلول التي توصل اليها المجتمعون عند البيت الحرام

وقد يوجد من يقول : كيف يتأتي لنا مناقشة قضايا المسلمين وطرح مشاكلهم في موسم الحج الذي يذهب اليه المسلم لتأدية فريضة العمر ؟ وجواب قصير أرد به هذا القول بالعودة مرة اخرى الى « حجة الوداع » وخطبة الرسول صلى الله عليه وسلم فيها والذي بين للناس جميعهم كل مايتعلق بحياتهم ، من الخصوصيات والعموميات ..

إن قضايا المسلمين في العصر الراهن كثيرة ومتشعبة ومتفرعة ومناقشتها في موسم الحج تعني صدق عودتنا لله سبحانه وتعالى ، واخلاص نيتنا في التمسك بكتابه الكريم وسنة نبيه العظيم .

فهل نجدد مسيرة اجهزتنا الاعلامية ونسخرها في موسم الحج تسخيرا يرضي ربنا وينفع ديننا ويصد عنا حملات الاعداء والخصوم؟ .



للأستاذ / محمد بن علي بن جبرة

إن بشاعة المؤامرة الاستعمارية الحديثة تعبر عن نفسها بأساليب مبتكرة ، من وقت لآخر ، وأضحت كلمة التكنولوجيا كلمة سر الخطر المعاصر ، فهي الآن عنوان التحديات الدولية الكبرى ، بحيث بات أي بلد ، وخصوصا العالم الاسلامي ، مطالبا بالدخول في التحدي المذكور والانتساب إلى عالم العلم والتكنولوجيا حماية لنفسه .

إن فجوة التخلف بيننا وبين العالم الصناعي في قضايا العلم والتكنولوجيا فجوة هائلة .. تزداد اتساعا يوما بعد يوم ... الأمر الذي بات معه بعض الناس في عالمنا الاسلامي يعتقد بأنه من المستحيل على الأمة الاسلامية اللحاق بالركب العلمي والتقني الذي وصلت إليه أوروبا واميركا واليابان ، بمعنى ان المسلمين سيبقون في هذه القضية يعيشون على العطاء الغربي .

ولاشك ان فقدان المسلمين للقوة التكنولوجية يعرضهم لأخطار النفوذ الغربي المتزايد ، ويمنح الدول الغنية أكثر من فرصة لاستبعاد النهضة الحقيقية في العالم الاسلامي .

فما هي التكنولوجيا ؟ وكيف يمكن للعالم الاسلامي ان يمتلكها بشكل حاسم وبناء ، وجبر هذه الفجوة بينه وبين العالم المصنع ؟

○ مفهوم التكنولوجيا ○

إن كلمة تكنولوجيا إغريقية الأصل، وكانت تعنى في عصور الحضارة اليونانية والرومانية القديمة كل الفنون المتعلقة بالمهارة والبراعة والحذق .

وتعرف التكنولوجيا على انها التطبيق العملي للمعرفة للوصول إلى أهداف عملية معينة ، أو لحل بعض مشاكل الانسان قصد بسط سلطته على البيئة المحيطة به ، لتطويع ما فيها من مواد وطاقة لخدمته وإشباع احتياجاته المتمثلة في الغذاء والكساء والتنقل ومجموع السبل التي توفر له حياة رغدة متحضرة آمنة . والمعرفة المراد تطبيقها يمكن ان تكون مبادىء مجردة وقوانين علمية او خبرات اكتسبت بالملاحظة والتجربة ، وتخضع للتحقيق والبرهان .

وليس من السهل الفصل والتمييز بين العلم والتكنولوجيا ، فكثير من العلوم الاساسية تؤدي الى تطبيقات عملية بغض النظر عن المقاصد الأصلية لمكتشفيها ، كما أن التطبيق نفسه قد يظهر للعيان بعض المبادىء العلمية الجديدة ، أو يقدم البرهان لبعضها الآخر . وهذا يوضح الارتباط الوثيق بين العلم والتكنولوجيا .

ويجب ألا نقصر معنى التكنولوجيا على الصناعة والوسائل الآلية ، ولا أن نعتبرها قوة غريبة خارجة عن الانسان ، فهي جزء من طبيعته يتجلى في الجانب العملي سواء أكان ذلك آلة أم منشطا فكريا يحقق هدفا علميا ، ولذلك يمكن ان يدخل تحت مظلة التكنولوجيا مثقب آلي أو عقار طبي أو أسلوب تطبيقي لمحو الأمية أو نوع جديد من المبيدات الحشرية .

وتعريف التكنولوجيا بهذا الشكل يجعل مفهومنا لها يتخطى الكثير من التعاريف السطحية لها ، وينقلها إلى أهم الوظائف التي يمكن أن تؤديها وهي التمكن من التطبيق العملي للعلوم والاختراع والابتكار والابداع .. وبالتالي فإن تاريخ نشوء الحضارات وتطورها يرتبط إلى حد بعيد بتاريخ نشوء التكنولوجيا وتطورها .

والتكنولوجيا إذا لم تفهم بهذا المعنى الحضاري الشامل فإن اكتسابها لايعني امتلاك القدرة الذاتية للعمل والاختراع ، بل ينحصر في مجرد الخبرة لإدارة وتشغيل المشاريع والمعدات التكنولوجية التي تنتجها أمم أخرى .

○ البعد الحضاري للتكنولوجيا ○

لقد أضحى جليا أن التكنولوجيا ذات أهمية حيوية في الحرب والسلم ، وأن الاعتبارات التقنية تسيطر على البناء الاقتصادي لجميع الشعوب ، وأن مدى هذه السيطرة يزداد مع كل تقدم يتم إحرازه في ميدان التكنولوجيا .

وقد شهد العالم خلال العقود القليلة المنصرمة قفزات جبارة في شتى مجالات التكنولوجيا غيرت وجه المدنية ومكنت الانسان من موارد جديدة غير موارد الارض . إن وسائل الانتاج والمنتجات ذاتها هي اليوم ابتكارات من صنع الانسان ، فنظم الاتصالات الحديثة والحاسبات الالكترونية ، والانسان الآلي ، والنقل الجوي ، والاستخبارات العلمية ... تحدث ثورات جديدة داخل البلدان كافة . ولهذه التغييرات المستحدثة تأثيرات لا تحصى على الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية لجميع الأمم ، وسوف تواجه البلدان غير المستعدة أو غير القادرة على اكتساب التكنولوجيا عواقب وخيمة تزداد حدتها يوما بعد يوم .

إن هذه القفزات العلمية والتكنولوجية غير مقطوعة عن السياق السياسي والاقتصادي لمصالح الدول الصناعية وعلاقاتها الدولية ، وهي كذلك غير معزولة عن الأشكال المتجددة للصراعات الحضارية ، وما تتطلبه من توظيفات علمية وتكنولوجية متنامية .

لقد ألحقت هذه التطورات تغييرا واضحا في واقع العيش ، وكادت تفرض على المجتمع مناهج وقيما جديدة . وتدخلت ـ هذه التطورات ـ في تحديد نوعية الصراعات السياسية والعسكرية وأدواتها ، وكذلك في إعادة النظر بالمفاهيم والأفكار الكثيرة التي هي ثمرة مراحل معينة تختلف كثيرا عن المراحل الجديدة ... أي إن التسارع في حركة العلم والتكنولوجيا يفرض إعادة نظر شاملة في الرؤيا الحضارية والتخطيط وتحديد أساليب العمل من أجل التنمية المتكاملة.

وفي صلب التحديات التكنولوجية يجب ان تتلمس البلدان الاسلامية مخرجا لها ، فهذه هي إمكانيتها الوحيدة للبقاء في الأسرة الدولية المتطورة ، فالتطور التكنولوجي يشكل تحديثا وتطويرا للتنمية ، إضافة إلى قدرته على سد بعض الثغرات الاقتصادية والتعويض عنها ، فالشعوب الاسلامية تعاني من ضعف الانتاج الزراعي نظرا لأهمية المناطق الجافة ، أما المناطق الصالحة للزراعة فإن نصفها فقط يستغل ، وتبعا لذلك يقع استيراد المواد الغذائية ، وبالتالي تبعية قرارها السياسي والثقافي وتفاقم مديونيتها ، في حين أن سبل تحقيق اكتفائها الذاتي تستدعي تنسيقا فعليا لتوظيف القدرات التكنولوجية المتاحة ... وهي سبل متوفرة في شكل كم مهمل ينتظر التشغيل ... فالبيئة الزراعية للبلدان العربية والاسلامية ليست مناسبة للتقدم التكنولوجي فقط ، بل هي تفرض بذل مجهودات مضاعفة من أجل إرساء قواعد علمية وتقنية ثابتة تفي بحاجيات الفلاحة لتلافي العجز الكمي الفادح في المواد الغذائية .

فالمشكلة في جوهرها حضارية بالدرجة الأولى ، ولهذا فإن المطلوب هو إعادة تشكيل العقل المسلم حتى يحسن فهم أسباب التخلف ويتجنب بالتالي الوقوع في الحلول الاسقاطية المنقوصة ، وسوء الظن بالامكانات الذاتية

الابداعية الكامنة في البلاد الاسلامية والمهملة .

○ بناء الانسان المسلم سبيل التقدم التكنولوجي ○

طالما أن قضية التقدم التكنولوجي قضية حضارية ، فلا ريب ان الانسان يلعب دور المحرك لعجلة التقدم الحضاري إذا كان صادقا في نظرته التغييرية رافضا للوصاية والاستعباد ، ودور المحبط لأية عملية تقدم إذا كان يعيش وفي نفسه عقدة نقص تجاه الاجنبي .

فمشكلة التقدم التكنولوجي يبدأ حلها السليم عندما تكون الخطوة الأولى هي إعادة الثقة بالنفس للانسان ، خاصة من يكون في موقع السلطة والقيادة ، فضمانة استمرار التقدم الحضاري هو الانسان بما يقدم من جهد وعمل .

إن بناء المصانع المتعددة ، واستصلاح المساحات الواسعة من الارض ، واستيراد أحدث آلات الغرب ومنتجاته ، عملية ممكنة ولا تعترضها مصاعب وعقبات إذا ما توفرت الأموال ، ولكن الأمر الأكثر صعوبة هو بناء الانسان بناء متجددا مؤسسا على قواعد التوازن الروحي والمادي والتوازن بين أداء الواجب والمطالبة بالحق ، وإعادة تشكيل عقله والربط مع ميزاته الاسلامية لايجاد نمط للنهضة أصيل ومنسجم مع الروح الذاتية لأمة المسلمين .

ويكبر دور الانسان في عملية التقدم التكنولوجي كلما ازداد التحدي وكثرت العقبات ، و « يحسن بمن يهتم بهذه القضية ان ينظر فيها النظرة الشاملة ، حتى ترتبط المشكلة الاقتصادية بجذورها الاجتماعية الثقافية البعيدة ، على الاقل في أذهان أصحاب الاختصاص ، كي تشمل نظرتهم في التصنيع ، الذي لابد منه ، فكرة واضحة عن القيم الانسانية الضرورية لنجاح المشروع . فإذا فكرنا على سبيل المثال فيما يسمى تغطية المشروع ندرك مباشرة على طريق الأرقام ان القيمة الأولى في نجاح أي مشروع اقتصادي هي الانسان . ويمكن القول بقدر ما استفدنا من تجارب العالم الثالث في العقود الأخيرة ، أن إهمال أو تجاهل قضية الانسان هي من الأمور التي أفقدت هذه التجارب الشرط الأساسي لنجاحها .. » (مالك بن نبي ـ المسلم في عالم الاقتصاد ـ ص ٥٨) .

والعالم الاسلامي يملك من الطاقات وكنوز الارض والتراث الثقافي والعلمي ، ويستمد من الايمان طاقات هائلة ، كفيلة بأن تحقق ما يشبه المعجزات في مجال التقدم التكنولوجي ، هذا إذا أحسن بشكل أساسي تشكيل ذات الانسان المسلم من جديد بتربية جديدة متجددة في الأسرة والمسجد والمدرسة والجامعة والمجتمع .

إن التخبط في التطوير التكنولوجي في العالم الاسلامي مرده إلى التخبط في العالم الداخلي للانسان الذي تحول إلى فوضى اجتماعية ، وانفصام لعرى الوحدة ، وارتجال في تحديد الخطط والأهداف والاختيارات ، وقد أثبت

التاريخ المعاصر أن بناء تكنولوجيا متطورة يجب ان يسبقه بناء انسان متطور رافض للتواكل والاستعباد ، وهذا لا يكون إلا بالتربية الفنية العلمية ذات التواصل الحضاري .

○ البحث العلمي ودوره في التقدم التكنولوجي ○

إنه من خلال الأبحاث العلمية قد تم الاستفادة من العلوم المختلفة كالرياضيات والفيزياء والكيمياء وفروعها المتعددة ، ومع التعمق في الأبحاث ازدادت امكانيات استخدام التكنولوجيا الحديثة ، فارتفع المستوى التقني للانتاج وتطورت فعاليته مع تطبيقات الأبحاث الجارية للأشكال الحديثة للتنظيم الاجتماعي ، ومع تعميق الاتجاه نحو التخصص والتكامل والتعاون بين المشروعات والمنشآت والفروع المختلفة الاقتصادية وقد دلت التجارب المتعددة للدول الصناعية على أن الابحاث العلمية ذات الطابع التطبيقي باستطاعتها تعويض التكاليف المعروفة لتحقيقها بمكاسب تبلغ اضعافا مضاعفة ، وهذا ما شجع الدول على زيادة حصة هذه الأبحاث بالنسبة للناتج القومي ، غير ان البلدان العربية والاسلامية وهي تجابه التحدي التكنولوجي المعاصر ، وقعت في أخطاء منهجية عندما فتحت مراكز البحوث والمعلومات ، وهي مجملة في صنفين :

- الأول : اعتماد شكل من النظرات الاكاديمية في البحث ، استهوى بعض شرائح المجتمع دون اللجوء إلى الحاجات الحقيقية للعملية الاجتماعية الاقتصادية الخصوصية ، أي إنه يستعير منطلقات وأدوات اكاديمية غربية فينظر الى خصوصيات العالم الاسلامي بعين غربية وبعقل متغرب .
- الثاني : ظهور ما يسمى بالبحوث التجميعية التكديسية التي تكتفي بالنقل والترتيب والتبويب والعناية بالشكل الخارجي للبحث .

فيضيع البحث بين اكاديمية مترفعة على تفاصيل واقع البلاد الاسلامية ومستلزماته الفعلية ، وبين انتقائيات تلفيقية تكديسية لا أثر فيها لايحاءات الخصوصية الاسلامية ولا للاجتهاد والابداع والومضة الايمانية دعامة المجتمع المسلم .

إن رصد ميزانيات محترمة لمراكز البحوث والمعلومات في البلدان الاسلامية الطموحة ، يجب ألا يتحول إلى أموال ضائعة وأوقات مهدورة ، في حين تشتد الحاجة للثروة والوقت لخدمة الشعوب التي تخوض صراعات حضارية يحاول العالم المصنع ان يصورها بأنها صراعات لا مخرج منها ولا أمل فيها بدون سيادته .

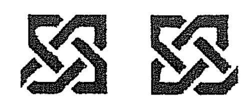
إن البحوث يجب ان تخضع إلى التنظير الفكري العلمي الاستدلالي الذي يجمع بين البرهان والواقعية والقيمة التطبيقية ، والذي يتحلى بامتيازات الذكاء والتفاعل مع الشعوب في واقع المسيرة التحديثية . يضاف إلى ذلك

إنجاز الحلقات المتلازمة في تطوير البيئة الثقافية الاسلامية عمليا ، وذلك بتوفير مصادر المعرفة وبخاصة الكتاب الاسلامي العلمي .

○ الاسلام في مواجهة التحدي التكنولوجي ○

لقد جرت في العالم الاسلامي محاولات استنهاض وتقدم تكنولوجي بأفكار مستوردة من الشرق والغرب ، ولكن ذلك لم يجد نفعا ، لان هذه الافكار لم تقو على شد الانسان العربي المسلم للعمل من خلالها ، لأنها لاتعبر عن تطلعاته ولا تراعي قيمه ، هذا إن لم تكن في الغالب حلا لمشكلة الغرب وليس لمشكلاته . فالحل هو من خلال الروح الاسلامية العلمية الجادة، روح تعمير الارض وخلافة الله فيها ، والعدالة بين الجميع ، وتوفير الحياة الكريمة للجميع وذلك يقتضى فتح باب الاجتهاد الفقهي والعلمي لوضع المناهج والخطوات والترتيبات المراعية للقدرات المتوفرة وللقيم الاسلامية السائدة . وإذا ما تهيأ الجو الثقافي العلمي والاجتهادي ، فسيبرز في المجتمع حشد منظم من الطاقات البشرية تدفعه الروح الايمانية فتجعل كل الأفراد في حركة مستمرة ، كل في مجاله يستنفد كل طاقته في مسيرة البناء التكنولوجي الصحيح .

إن المسلمين حينما تربوا على الاسلام أدركوا ان قضية الاهتمام بالناحية التطبيقية للعلوم ـ التكنولوجيا ـ هي قضية تعبدية بالدرجة الأولى ، وليست مجرد الحصول على شيء من القوة أو الغلبة والتسلط في هذه الدنيا... فحين يتعرف المسلم على بديع صنع الله تبارك وتعالى في هذا الكون فهو يتعرف على خالقه . وقد اشتمل القرآن الكريم على أكثر من (٧٥٠) آية تحض الانسان على النظر في الكون ، ولم يجد المسلمون في تعاليم دينهم وأصوله ما يمكن ان يقف حائلا دون نشاطهم العلمي والتقني ، بل وجدوا في القرآن الكريم وفي أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ما يدفعهم إلى ذلك دفعا ، وما أروع حديثه صلى الله عليه وسلم : « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العالم رضا بما يصنع ، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الارض حتى الحيتان في الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الانبياء ، إن الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر » (رواه ابو داود والترمذي) .



« لم ينبه الاسلام عقول المسلمين وقلوبهم الى شيء بعد التوحيد مثلما نبههم إلى سنة التطور ، ولعل الدرس العظيم الذي ينبغي أن نتدبره في هذا المجال ، هو أن المسلمين الأوائل وهم رجال بادية لا يعرفون من فنون الحرب إلا الحرب البرية ، اقتحموا مجال الحرب البحرية وهو مجال جديد عليهم تماما ، وأدخلوا السلاح البحري في استراتيجيتهم العسكرية لأول مرة ، ثم خاضوا ـ بعد وقت قصير جدا ـ المعركة البحرية في مواجهة أقوى أساطيل زمانهم .. فهزموه !! »

لواء أ . ح : محمد جمال الدين محفوظ



● لم يكن العرب قبل الاسلام يعرفون ركوب البحر إلا ما كان من سفائن ممالك حمير وسبأ في أيام التبابعة لأنهم كانوا أهل تجارة في البر والبحر، أما عرب الحجاز فكانوا يخافون ركوب البحر ، وليس ذلك بمستغرب من قوم قضوا حياتهم في صحراء قفراء ، لا سبيل لها إلى البحر ، ولا مصلحة لهم عنده ، اذ كانوا يستغنون عن البحر بطريق البر في التجارة والانتقال بين شبه الجزيرة والشام ومصر ، يقول ابن خلدون : « والسبب في ذلك أن العرب لبداوتهم لم يكونوا أول الأمر مهرة في ثقافته وركوبه (يعني البحر) والروم والافرنجة لمارستهم أحواله ، ومرباهم في التقلب على أعواده ، مرنوا عليه وأحكموا الدراية بثقافته » .

● وقد كان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه متخوفا من البحر ، وكان يحرص على ألا يفصل بينه وبين المسلمين ماء ، وهذه الرهبة من البحر هى التي جعلت الفتوحات الاسلامية خلال السنوات العشرين الأولى في العراق والشام ومصر تنحصر في ميادين البــر دون البحر .

بناء الأسطول ضرورة استراتيجية

● لكن المسلمين سرعان ما أدركوا من تطور أحداث الفتح والدروس المستفادة منها أن بناء أسطول اسلامي ضرورة استراتيجية حيوية لأمن المسلمين :

(١) فخلال سنوات الفتح بين عامي ١٣ الى ٣٠ من الهجرة (٦٣٤ ـ ٦٥٠ م) لم يجد المسلمون عدوا لهم في معاركهم أقسى من البحر وما يأتي منه من أخطار ، فبينما كانت مدن الشام الداخلية تتساقط دون عناء كبير ، كانت موانىء الساحل تصمد طويلا وتتحمل الحصار بسبب إمدادها المستمر عن طريق البحر ، ومن ذلك على سبيل المثال أن قيسارية لم تسقط الابعد حصار سبع سنوات من جمادي الأولي سنة ١٣ الى شوال سنة ١٩ من الهجرة .

(٢) وبينما كانت مدن الداخل تخضع للمسلمين بعد فتحها وتسلم اليهم مقاليد ولائها ، كانت مدن الساحل دائمة الفتن والثورات والاضطرابات بسبب تحريض الروم (بيزنطة) ووجود اتصال بحري بينها وبين تلك المدن ، حتى تمكنت مدن كثيرة منها أن تنشق بمعونة الأسطول البيزنطي عن الحكم الاسلامي .

(٣) وكان الأسطول البيزنطي ـ عندما يدرك استحالة المقاومة والصمود أمام الحصار الاسلامي على الموانى في الشام ومصر ـ يتولى إجلاء الجنود والمدنيين منها لحمايتهم من ملاحقة المسلمين ، فكان المسلمون حين يدخلونها يجدونها خالية تماما من السكان .

(٤) ثم إن شواطىء الدولة الاسلامية امتدت من طرسوس شمالا إلى برقة جنوبا (أكثر من ١٥٠٠ ميل) وهذه الشواطىء الطويلة تواجه تهديدا خطيرا من البيزنطيين وأساطيلهم ، فكان لابد من حمايتها والدفاع عنها ضد الغزو البحري ...

من أجل هذه الأسباب كان انشاء الأسطول البحري الاسلامي « ضرورة استراتيجية » .

كيف أنشئ الأسطول الإسلامي ؟

● لقد تمكن المسلمون في البداية من إنشاء « نواة » للأسطول مما غنموه من السفن البيزنطية خلال فتوح الشام ومصر، يقول ارشيبالد لويس : « كما أن العرب بفضل استيلائهم على دور الصناعة البيزنطية في الأسكندرية وسوريه سليمة ، استطاعوا أن يكونوا لديهم سفنا حربية إما جاهزة أو من السهل بناؤها ، وكانت تحت أيديهم ـ فضلا عن ذلك ـ السفن التجارية التي يملكها السوريون والمصريون وهى مما يمكن استخدامه في أغراض الحرب مع ما يكفيها من ملاحي تلك الثغور الخبيرين بشئون الملاحة » .

● وبدأ المسلمون في صناعة السفن في دور الصناعة في الشام ومصر ، يقول فيليب حتى : « وكان (يقصد معاوية بن أبي سفيان) قد ظفر في عكا بأحواض بيزنطية لبناء السفن وافية التجهيز ، فعمد الى تشغيلها بحيث غدت الأولى من نوعها بعد دار الصناعة في الأسكندرية ، وكانت أحراج لبنان آنئذ غضة ، فكانت تمد هذه الصناعة بالخشب اللازم ، وقد نقل الأمويون هذه الأحواض الى مدينة صور » .

● ولما كان للشام ومصر تاريخ عريق في ميدان البحر سواء في التجارة أو الحرب ، فقد كان طبيعيا أن يفيد المسلمون من الخبرات البحرية في هذه البلاد ، وكان ذلك من أكبر العوامل التي ساعدت على بناء الأسطول الاسلامي ، وفي ذلك يقول ابن خلدون : « فلما استقر الملك للعرب ، وشمخ سلطانهم ، وصارت أمم البحر خولا لهم (أي تابعين لهم) وتحت أيديهم ، وتقرب كل ذي صنعة إليهم بمبلغ صناعته ، واستخدموا من النواتية في حاجاتهم البحرية أمما ، وتكررت ممارستهم للبحر وثقافته ، استحدثوا بصراء بها (أي خبراء) فشرهوا الى الجهاد فيه (اي البحر) وأنشأوا السفن فيه والشواني (السفن الحربية الكبيرة) وشحنوا الأساطيل بالرجال والسلاح وأمطوها (أي وأركبوا فيها) العساكر والمقاتلة لمن وراء البحر من أمم الكفر ، واختصوا بذلك من ممالكهم وثغورهم ما كان أقرب لهذا البحر وعلى حافته مثل الشام وافريقية والمغرب والأندلس » .

غرس « الوعي البحري » في نفوس المسلمين

● وخلال خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ معاوية بن أبي سفيان والي الشام في تقوية حصون الساحل الشامي ومدنه ، وإنشاء الرباطات البحرية فيها وتدعيمها ، ثم جعلها قواعد هجوم وإغارة ، بعد أن كانت أماكن حصينة للدفاع والاحتماء ، فلما تولى عثمان بن عفان رضي الله عنه الخلافة ، بدأ معاوية في سياسته البحرية في البحر المتوسط ، فشجع الناس

على سكنى السواحل لتنمية ملكة حب البحر وركوبه لديهم ، ومما ساعده على ذلك أن الخليفة وافق على منح كل من يقيم في السواحل قطعة أرض ليستغلها ويظفر بخيرها ، فعمرت السواحل بذلك ، ولم يعد المسلمون يخشون خطر البيزنطيين أو عدوانهم وهذا بفضل وجود الجيوش والحاميات بصفة دائمة في هذه المدن أو الموانىء الساحلية للدفاع عنها إلى جانب قوات الهجوم والاغارة ، وكان كل من يتخلف عن غزو العدو تؤخذ منه أرضه وتعطى لغيره ممن يقيم في السواحل .

أعمال الأسطول الاسلامي الناشىء

● وقد بدأ الأسطول الاسلامي في سرعة مذهلة ممارسة العمليات البحرية التي اتخذت صورتين :
الأولى : عمليات الأغارة البحرية وغزو الجزر التابعة للبيزنطيين والتي تشكل تهديدا مباشرا للشام ومصر مثل قبرص وكريت وصقلية ومالطة وسردينيا وأرواد وقد بدأت هذه العمليات في عام ٢٨ للهجرة بغزو قبرص .
والثانية : خوض المعركة الحربية في البحر ضد الأسطول البيزنطي مثل معركة ذات الصواري عام ٣٤ للهجرة والتي سنتناولها بايجاز نظرا لما كان لها من آثار استراتيجية على توازن القوى البحرية في البحر الأبيض المتوسط .

ذات الصواري

● لقد كان من الطبيعي ألا تقف بيزنطة مكتوفة الأيدي أمام القوة البحرية الاسلامية التي قامت في البحر الأبيض المتوسط ، وأصبح تحت يدها أغلى ما كانت تملك من دور للصناعة وقواعد بحرية في عكا والاسكندرية ، مما يشكل تهديدا خطيرا لسيادتها البحرية التي امتدت زمنا بلا منافس .

● من أجل ذلك نجد من بين الأسباب التي ذكرها المؤرخون لتلك المعركة ، إجهاض قوة البحرية الاسلامية النامية ، وحرمان المسلمين من الحصول على الأخشاب اللازمة لصناعة السفن والتي تتوفر في ساحل الأناضول ، ويؤيد ذلك أن المعركة دارت قريبا من هذا الساحل :

(١) يقول أرشبالد لويس بعد ان تحدث عن غزو الأسطول الاسلامي لقبرص الذى بدأ عام ٢٨ هـ : « ويظهر أن الغارات التى انتهت باحتلال الجزيرة أثارت حماس الدولة البيزنطية نحو البحر ، ودفعتها للقيام بعمليات

بحرية جديدة ، وكانت هذه العمليات قد توقفت منذ فشلها فى معركة الاسكندرية عام ٦٤٥ م (٢٥ هـ) وفى عام ٦٥٥ أعد قنسطانز الثاني خليفة هرقل اسطولا كبيرا تراوح عدده من ٧٠٠ الى ١٠٠٠ سفينة شراعية ، والتقى هذا الاسطول في السنة ذاتها بأسطول صغير مشترك بين العرب والمصريين مكون من ٢٠٠ سفينة أقلعت من شواطىء سوريا قرب موضع يقال له فونيكس Phoenicus بآسيا الصغرى وتعرف هذه الواقعة بواقعة ذات الصواري .

(٢) كما يقول أيضا : « ومما يلفت النظر أن المكان الذى دارت فيه المعركة وهو ساحل الأناضول يزدحم بغابات السرو الكثيفة وهو الشجر المستخدم فى صواري السفن ، ولعل البيزنطيين قرروا القيام بتلك المعركة ليحولوا بين الخشب اللازم لصناعة السفن هناك وبين وقوعه فى قبضة العرب ، واذا صح هذا الزعم فإنه يقوم دليلا على أهمية الخشب فى الصراع البحرى بين العرب وبيزنطة » .

ولعل ذلك هو السبب في اطلاق اسم ذات الصواري على تلك الموقعة نسبة الى المنطقة التى دارت قريبا منها والتي يتوفر فيها الشجر المستخدم فى صواري السفن وهذا ما نميل اليه ، كما انه مما يدل على أن ذات الصواري اسم للمكان قول الطبري في وصفه للمعركة : « فركب (يقصد قائد الأسطول عبدالله بن سعد بن أبى سرح) فى مركب وحده ما معه إلا القبط حتى بلغوا ذات الصواري فلقوا جموع الروم فى خمسمائة مركب أو ستمائة » وقوله أيضا : « وأقام عبدالله بذات الصواري أياما بعد هزيمة القوم (يقصد البيزنطيين) » .

ملخص أحداث المعركة :

● التقى الأسطول الاسلامى بقيادة عبدالله بن سعد بن أبي سرح والي مصر وكان يتألف من ٢٠٠ سفينة بالأسطول البيزنطي بقيادة الامبراطور قسطنطين الثانى خارج ساحل ايكيا (أوليسيا) فى آسيا الصغرى .

● بدأ القتال بالتراشق بالسهام عندما أصبحت المسافة بين الأسطولين تسمح بذلك .

● وبعد أن نفدت السهام جرى التراشق بالحجارة بعد أن أصبحت المسافة بينهما قصيرة ، ومن أجل ذلك كانوا « يجعلون في اعلى الصواري صناديق مفتوحة من أعلاها يسمونها التوابيت يصعد إليها الرجال قبل استقبال العدو فيقيمون فيها للكشف ومعهم حجارة صغيرة فى مخلاة معلقة بجانب الصندوق يرمون العدو بالأحجار وهم مستورون بالصناديق » .

● وبعد أن نفدت الحجارة ربط المسلمون سفنهم بسفن البيزنطيين وبدأ القتال المتلاحم بالسيوف والخناجر فوق سفن الطرفين .

● انتهت المعركة بعد قتال شديد بانتصار المسلمين باذن الله .
● وقد روى المؤرخ البيزنطى تيوفانس كيف كانت هزيمة الأسطول البيزنطي وفداحة خسائره وكيف فر الامبراطور ناجيا بنفسه فقال : « ضم صفوف الروم (أى قسطنطين) الى المعركة وأخذ يتحرش بالعدو فنشبت المعركة بين الطرفين وهزم الروم واصطبغ البحر بدمائهم فغير الامبراطور ملابسه مع أحد الجنود وقفز أحد الجنود على مركبه واختطفه وذهب به هنا وهناك ونجا بمعجزة » .

الدرس العظيم :

● ولابد أن نستخلص من هذه الحقائق التاريخية ما ينبغي أن يتدبره المسلمون من درس وعبرة ، ويسترشدوا به فى سعيهم نحو النهضة الحضارية المنشودة ، فلقد أدرك المسلمون بعد عصر النبوة أن افتقارهم الى القوة البحرية يضعف سلطانهم على السواحل الاسلامية أمام قوة بيزنطة البحرية ، ويعيق حركتهم لنشر الدعوة ، لكنه كانت أمامهم لتصحيح هذا الوضع تحديات جسام :ـ
(١) فهم رجال بادية لا يعرفون ركوب البحر فضلا عن القتال فيه .
(٢) وعدوهم الرئيسى « قوة عالمية كبرى » لديها قوة بحرية مهيبة مكنتها من السيادة فى البحر الأبيض المتوسط الذى كان يسمى « بالبحيرة الرومانية » أو « البحر الرومي » كما يقول ابن خلدون .
(٣) وعنصر الزمن « ليس فى صالحهم » ، فهم « في حالة حرب » مع هذا العدو ، يفتحون من الأراضي التي تحت يده أغلاها وأغناها ، فهو لابد وأن يسعى بكل ما أوتى من قوة نحو استرداد تلك الأراضي من ناحية ، ومنعهم من بناء قوتهم البحرية من ناحية اخرى .
● فالأمر الذي يستحق التأمل هنا هو أن المسلمين لم يقفوا أمام هذه التحديات مكتوفي الأيدى ، بل « اقتحموا بكل شجاعة » مجال الحرب البحرية وبناء الأساطيل مدفوعين بأقوى الدوافع النفسية والمعنوية ، فلقد رأوا ـ دون انتظار لنص موجه ـ أن كتابهم لا يعلو في عالم يجهلون فيه شئونه البحرية ، فعبدوا الله بالسيطرة على الأمواج ، وقد أدركوا بكل الوعي والفهم مغزى الأمر بإعداد القوة والمرابطة (**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم**) الأنفال/ ٦٠ .
وعملوا بمقتضاه ، وهو ألا يدع المسلمون الفرصة لعدوهم لكي يتفوق عليهم في القوة ، وإلا أصبحت قوتهم « مفرغة من قوة الردع » التي توقع الرهبة في قلوب أعدائهم ، فيتعرضون للهلاك .
كما أدركوا أيضا أن مقتضى هذا الأمر أن يتطوروا في بناء قوتهم وفي تركيبها وأساليب استخدامها وفي أسلحتها لكي تناسب روح العصر الذي تعيش فيه ، والظروف والأحوال الاستراتيجية التي تحيط بها .

◎ ولم يجد المسلمون حرجا في أن يستعينوا بغيرهم في حاجاتهم البحرية ، لكنهم لم يقفوا عند حدود « النقل » ، بل تجاوزوها حتى كانت لهم بعد فترة قصيرة من الزمن ، خبراتهم الخاصة في كل مجالات الحرب البحرية ، وذلك مطلب حيوي لكل أمة تقتضي ظروفها الاستراتيجية أن تأخذ عن غيرها من الأمم شيئا من المعارف والخبرات التي تنقصها بشرط ألا يكون ثمن ذلك هو « التبعية » لهذا الغير ، تلك التبعية التي تحرمها من بناء قوتها الذاتية بأسرارها الخاصة التي ترهب الأعداء .

وقد سجل التاريخ للمسلمين أنهم توسعوا في بناء الأساطيل الاسلامية حتى صار لهم ثلاثة أساطيل ، أحدها في مصر والثاني في سورية والثالث في شمال أفريقية بالاضافة إلى قوة بحرية محدودة تعمل في البحر الاحمر لحراسته .

◎ ولقد سجل التاريخ للأسطول الاسلامي انجازات رائعة تستحق الذكر والفخر وكانت « باكورة » هذه الانجازات-وهي معركة ذات الصواري-ذات نتائج استراتيجية بعيدة المدى فقد غيرت مجرى تاريخ البحر الأبيض المتوسط ، فاذا كانت موقعة « اكتيوم » سنة ٣١ قبل الميلاد جعلت من البحر المتوسط « بحيرة رومانية » فإن ذات الصوارى أنهت عصر السيادة البيزنطية فيه ، وبرز المسلمون قوة مؤثرة ذات ثقل عسكري وسياسي واقتصادي في عالم هذا البحر .

◎ ويصور ابن خلدون كيف سيطر المسلمون على البحر المتوسط فيقول بعد أن تحدث عن بناء دور الصناعة لصناعة السفن والتوسع في تشكيل الأساطيل الاسلامية في افريقية والأندلس وعن نشاط البحرية الاسلامية في غزو جزر هذا البحر : « والمسلمون خلال ذلك كله قد تغلبوا على كثير من لجة هذا البحر وسارت أساطيلهم فيه جائية وذاهبة والعساكر الاسلامية تجيز البحر (اى تسير فيه وتقطعه) في الأساطيل من صقلية إلى البر الكبير المقابل لها من العُدْوة الشمالية فتوقع بملوك الافرنج وتثخن في ممالكهم كما وقع في أيام بني الحسين ملوك صقلية القايمين فيها بدعوة العبيديين ، وانحازت أمم النصرانية بأساطيلهم الى الجانب الشمالي الشرقي منه من سواحل الافرنجة والصقالبة وجزائر الرومانية لا يعدونها (أى لا يتجاوزونها) وأساطيل المسلمين قد ضريت عليهم ضراء الأسد على فريسته وقد ملأت الأكثر من بسيط هذا البحر عدة وعددا واختلفت في طرقه سلما وحربا ، فلم تظهر للنصرانية فيه ألواح (أى سفن) » .



للمستشار / محمد عزت الطهطاوي

كان الاسرائيليون ـ او اليهود كما غلب على تسميتهم صدر تاريخهم ـ الشعب الذي اختاره الله لهداية الخلائق وظلت رسالات الوحى الأعلى حكرا في جنسهم دهرا طويلا الا أن هذا الشعب مل تكاليف الايمان واستثقل التزامات الصلاح والعدالة بل بلغ الفجور به مبلغ التعدى على رسل الله واستباحة دمائهم وامتدت يده الأثيمة الى التوراة كتابهم المقدس فحرفها ووضح من إصراره على عوجه واستغراق الفساد لجمهرته انه ليس بأهل لتلقى رسالات السماء وإبلاغها للناس فغضب الله عليه وصرف الوحى عنه واصطفى العرب ليقودوا الانسانية جمعاء بكلمات الوحي .

ومع ذلك فمازال اليهود مصرين على دعواهم بأنهم الأمة التي يجب أن تقود العالم وتسود الأرض، وقد استبدت هذه الدعوى بنفر منهم واختلطت بمشاعر مضطرمة من التعصب والحقد ومن ثم تألفت الحركة الصهيونية العالمية مستهدفة اغتصاب الأرض المقدسة في فلسطين ليتمكن الصهاينة من داخلها ان يفرضوا انفسهم على العالم وهذا ما حدث فعلا في بداية هذا القرن الميلادى فإبان ضعف الامة العربية وبالمكر والخديعة من جانب حكومات الغرب الصليبية أعانوا اليهود على أن يقيموا لهم دولة عنصرية عدوانية داخل الوطن العربي على ارض فلسطين دأبت على التعدى على ما جاورها من الدول العربية ذلك أنهم يبغضون العرب أشد البغض ويجحدون رسالة النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم أشد الجحد فضلا عن انهم ناشرو الفتن والقلاقل والحروب والدسائس في ربوع هذا العالم .

مأساة الفلسطينيين في أراضيهم المحتلة من قبل الاسرائيليين في زماننا المعاصر :

نشرت صحيفة ذي إند بندت البريطانية صورا من المأساة التي يعيشها الفلسطينيون تحت الاحتلال الاسرائيلي مما أدى الى انتفاضتهم الأخيرة ضد الحكم الاسرائيلي فتقول :

إن قطاع غزة الذى لا يتجاوز ٢٨ ميلا في الطول وخمسة أميال في العرض يعيش فيه (٦٤٥) ألف فلسطيني بينهم (٤٤٦) الف لاجىء يعيشون في ثمانية معسكرات للاجئين هى التي وصف أحدها ديفيد ميللور وزير الدولة للشؤون الخارجية البريطانية بقوله (إن الحياة فيه وصمة في حق جميع القيم الانسانية) وقد صادرت حكومة اسرائيل ثلث مساحة القطاع وأقامت فيه ١٨ مستوطنة يسكنها (٢٥٠٠) اسرائيلي يحصلون وحدهم على ثلث موارد المياه في القطاع تاركين الثلثين للفلسطينيين الذين يبلغ عددهم عشرات اضعاف عدد المستوطنين اليهود وبالاضافة الى ذلك لا تسمح سلطات الاحتلال للسكان الفلسطينيين بحفر آبار جديدة لمياه الرى في الوقت الذي سيصل عددهم في نهاية القرن الميلادى الحالي الى (مليون) شخص لا يعرف احدمن أين سيأكلون وكيف سيعيشون في ظل هذه الظروف القاسية .

وعن الوضع في الضفة الغربية الفلسطينية وغزة تقول تلك الصحيفة البريطانية إن اسرائيل ضمت اليها رسميا المدن الثلاث الكبرى وهى القدس ونابلس والخليل وصادرت لأغراض الاستيطان اليهودى حوالى ٥٢٪ من اراضي الضفة الغربية لحساب الاسرائيليين ويبلغ عدد سكان الضفة مليون شخص يعيش بينهم (٧٠) الف مستوطن يهودي في (١١٨) مستوطنة وهى المتمتعة بمعظم موارد مياه الرى وسائر التسهيلات ، كما أن الجيش الاسرائيلي أقام ١١ قاعدة عسكرية قام منها الجنود الاسرائيليون باقتحام منازل الفلسطينيين في الليل ، واعتدوا بالضرب المبرح على الصبية ، وعلى اي شخص يقف في سبيلهم ، حتى ولو كان امراة أو شيخا مسنا ، ثم يتبعون ذلك العدوان بتدمير أثاث المنازل وتحطيم نوافذها واطلاق النار على خزانات المياه لتفريغها بهدف إماتة السكان عطشا .

وفي يوم ذكرى الشهداء الموافق ١٥ يناير الماضي اقتحمت قوات الاحتلال الاسرائيلي المسجد الاقصى وأطلقت على المصلين قنابل الغاز المسيل للدموع واشتبكت مع المصلين في معارك دامية لدى خروجهم من المسجد المذكور وغيره من مساجد القدس قتلت فيها واصابت برصاصها واسلحتها الكثيرين من المسلمين فضلا عن اعتقالها للمئات منهم وضربهم بالهراوات الكهربائية حتى فقدان الوعي فتحطمت عظام بعضهم وحدثت كسور في ايدي وأرجل البعض الآخر ، ولم يكتفوا بذلك بل بقسوة شديدة قاموا

بضرب الحوامل من النساء على بطونهن مما أدى الى اسقاط ما فيها من حمل . وبدلا من أن تنظر الحكومة الاسرائيلية بعين العقل فتترك الاراضي في الضفة الغربية وقطاع غزة لسكانها العرب تقوم بالمزيد من اعمال القمع مما أدى الى توالى المصادمات الدامية بين القوات الاسرائيلية والمواطنين العرب وسقوط المزيد من القتلى منهم وتشريد الكثيرين بسبب نسف منازلهم وهدم دورهم،ووصلت القسوة باليهود المعتدين الى ان قاموا بدفن عدد من شباب الفلسطينيين وهم أحياء بالاضافة الى المذابح الجماعية التي يرتكبونها قبل الفلسطينيين العزل من السلاح .

تفسير روح العدوان في النفسية اليهودية :

يرد بعض الباحثين تسلط روح العدوان عند اليهود الى خلودها في التكوين السيكولوجي التاريخي والعقائدي للشخصية اليهودية تجاه العرب عامة والفلسطينيين بصفة خاصة فهي خاصية سلوكية تعبر عن سمة من سمات الطابع القومي عند اليهود يغذيها التراث الديني .

١ ـ فنصوص كتابهم المقدس تطبع العقيدة اليهودية برباط وثيق بين (حرب اسرائيل) و (رب اسرائيل) حتى لتصف هذا الرب بالقسوة والتوحش الذي لا يعرف الرحمة بالانسان او الحيوان،حيث يصبح هذا الرب (رب الجنود) الذي يمهد لبنى اسرائيل السبيل لتحقيق مآربهم في العدوان والاحتلال وطرد الشعوب من أوطانها كما في العهد القديم من الكتاب المقدس عندهم (الرب يطرد من أمامك شعوبا أكبر وأعظم منك) . و (الرب إلهك يطرد هؤلاء الشعوب من أمامك ويدفع ملوكهم الى يدك فتمحو اسمهم من تحت السماء) . و (الرب إلهك هو العابر امامك نارا آكلة هو يبيدهم ويذلهم أمامك فتطردهم وتهلكهم سريعا كما كلمك الرب) .

٢ ـ وثمت صورة اخرى لأخلاقيات اليهود اشد قسوة من سابقتها هي تلك الوصية التي تقول (وحين تقرب مدينة لكى تحاربها استدعها للصلح فان أجابتك الى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها للتسخير ويستعبد لك وان لم تسالمك وعملت معك حربا فحاصرها واذا دفعها الرب الهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف وأما النساء والاطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاها الرب إلهك هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التي ليست من مدن هذه الأمم هنا ، وأما مدن هذه الشعوب التي يعطيك الرب الهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة ما) .

٣ ـ ويزعمون أن الرب أوصى موسى قائلا (فتطردون كل سكان الارض من اماكن وتمحون جميع تصاويرهم وتبيدون كل اصنامهم المسبوكة وتخربون جميع مرتفعاتهم)

كتاب التلمود ووصاياه في العدوان أيضا :

كتابهم المقدس الثاني المسمى بالتلمود يطفح بوصاياه اليهم في العدوان على أنفس البشر عموما مثل قوله (اقتل الصالح من غير اليهود ومحرم على اليهودي ان ينجى احدا من باقي الامم من هلاك أو يخرجه من حفرة يقع فيها) ومثل قوله (قتل غير اليهودى من الافعال التي يكافىء عليها الله). واذا لم يتمكن اليهودي من قتلهم فواجب عليه ان يتسبب في هلاكهم في اي وقت وبأية طريقة ممكنة وتطبيقا لهذه الوصية :

١ ـ إنه في سنة ٢١٤ بعد المسيح قتل اليهود مائتي الف مسيحي في روما وكل نصارى جزيرة قبرص .

٢ ـ إنه في زمن البابا (كليمان) قتل اليهود في روما وخارجها جملة من النصارى كرمال البحر .

٣ ـ وبناء على رغبة اليهود قتل الامبراطور (ديوكابيين) جملة من المسيحيين ومن ضمنهم عدد من الباباوات وقبل ذلك قام الامبراطور (مارك اوريل) بقتل جميع النصارى بناء على ايعاز من اليهود .

٤ ـ وفي سنة (٧٠)م ، ثار اليهود على النصارى في فلسطين فذبحوا منهم خلقا كثيرا وفي سنة ١٣٤ م ذبحوا وشنقوا عشرات الآلاف وكذا في سنة ١٣٥ م قتل اليهود بقيادة (باركوخيا) عشرات الآلاف من النصارى .

٥ ـ وفي عهد الحاخام (أكيبا) سنة ١١٥م ذبحوا في ليبيا من النصارى ٢٠٠ ألف نسمة .

٦ ـ وفي سنة ١٥٥م قتل الامبراطور الرومانى جميع النصارى في روما بناء على دسائس الحاخام يهوذا .

٧ ـ ان الحروب الدينية الطاحنة التي دارت بين الكاثوليك والبروتستانت في أوروبا وراح ضحيتها مئات الملايين من البشر كان من ورائها اليهود الذين اندسوا بين الفريقين يحرضون كلا منهما على الآخر .

عدوان اليهود على الأديان وطهارة النفوس والتخريب لأي مكان عدا ما يتعلق بهم :

جاء في الوصية الجامعة كما وردت في كتبهم الدينية :

١ ـ اهدم كل قائم ، لوث كل طاهر ، احرق كل اخضر كي تنفع يهوديا بفلس .

٢ ـ اقتلوا جميع من في المدن من رجل وامرأة وطفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف .

٣ ـ اقتل أفضل من قدرت عليه من غير اليهود .

٤ ـ العن رؤساء الأديان سوى اليهود (ثلاث مرات في كل يوم) .

عدوان اليهود على أموال الناس :

ومن الوصايا المقدسة عند اليهود في كتاب التلمود المذكور :
١ ـ (مسموح غش الأممي وأخذ ماله بواسطة الربا الفاحش) وقد نعى ذلك عليهم القرآن الكريم في قول الله تعالى:(**ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون**) آل عمران/٧٥ .
وكلمة أممي تعني عند الاسرائيليين غير اليهودي .
٢ ـ إن الرابي صموئيل أحد حاخاماتهم المهمين كان رأيه ان سرقة غير اليهودي مباحة وقد اشترى هو نفسه من أجنبي آنية من الذهب كان يظنها الأجنبي نحاسا ودفع ثمنها أربعة دراهم فقط وهو ثمن بخس وسرق درهما ايضا من البائع .
٣ ـ ومن الوصايا أيضا قولهم (لا يجوز ليهودي أن يرد المال لصاحبه) اذ جاء في التلمود على زعمهم قوله « إن الله لا يغفر ذنبا ليهودي يرد للأممي ماله المفقود) .

هل هذه الوصايا في العدوان حقيقة وحي من الله تعالى ؟ :

ان الوصايا اليهودية السابقة بعيدة كل البعد ان تكون وحيا من الله الى موسى عليه السلام أو الى أحد من الأنبياء بعده فهي في شكلها العام لا تتلاءم مع سمو الوحي كما لا يليق أن تنسب الى الذات الالهية المقدسة ما ينعتون له من صفات يفترونها على الله في نصوصهم كقولهم (شديد القسوة ، مولع بالتدمير كلف بالتخريب ، متعطش للدماء إذ يأمرهم بقتل غير اليهود وتقديمهم قرابين له) ولم تقتصر هذه القسوة على الانسان والحيوان بل تجاوزتهما الى النبات والجماد فهم يزعمون أن الله أوصاهم بقطع الأشجار المثمرة وتخريب المزارع والحدائق وطمس الآبار . وقد كشف القرآن الكريم أمر هذه المفتريات وفضح أساليبهم في تحريفهم لأوامر الله لهم في التوراة .

كيف يتحدث القرآن الكريم عن اليهود في آياته :

من العجيب بل من الملفت للنظر ان القرآن الكريم في حديثه عن اليهود يربط ربطا محكما بين طباع واخلاق المعاصرين منهم للنبي محمد صلى الله عليه وسلم وطباع واخلاق آبائهم الأولين الذين عاصروا موسى والمسيح عيسى ابن مريم وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام وذلك ليبين ان ما عليه الأبناء من فسوق وعصيان ونقض لمواثيق الايمان ومحاربة لدعوة الحق والاسلام وتحريف للكتاب انما هو ميراث من الخلق السيء توارثه الخلف عن السلف

وقد تسلسل في ذراريهم حتى يومنا هذا قال الله تعالى : **(وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون)** البقرة/ ٨٣ وقال جل وعلا : **(يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون * وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وإياي فاتقون)** البقرة ٤٠ ـ ٤١ .

وعن تحريفهم لنصوص التوراة قال الله تعالى : **(فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون)** البقرة/ ٧٩ .

وقد نعى عليهم القرآن جرائمهم في القتل والتخريب والتدمير والافساد في الأرض وذلك في قوله جل وعلا **(من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفسٍ أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا)** المائدة/ ٣٢ .

وبعد :

فإن تاريخ اليهود على مر الزمان غاص بوحشيتهم في القتل والعدوان وسفك دماء البشر وقد نال الكثير من ذلك أنبياؤهم .

١ ـ فقد قتلوا النبي (أشعيا بن آموص) الذي عاش في منتصف القرن الثامن قبل المسيح ـ

٢ ـ وقتلوا النبي (أرميا) رميا بالحجارة لأنه أكثر من توبيخهم على منكرات اعمالهم وكان ذلك في أواسط القرن السابع قبل الميلاد .

٣ ـ وقتلوا النبي زكريا لأنه حاول الدفاع عن ولده النبي يحيى والذي لم ينج هو الآخر من عدوانهم .

٤ ـ وتواطأوا على قتل المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام لكن الله تعالى نجاه منهم .

٥ ـ وحاولوا قتل النبي محمد صلى الله عليه وسلم فعصمه الله منهم وحفظه من شرورهم .

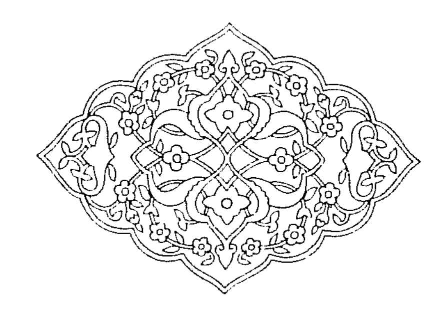
٦ ـ ولم يقفوا عند هـ نحد بل تمادوا في غ يهم حتى قتلوا المصلحين من الناس وان لم يكونوا من الأنبياء فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل قتل نبيا أو من أمر بالمعروف ونهي عن

المنكر ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (**إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم**) آل عمران/٢١ ثم قال قتلت بنو اسرائيل ثلاثة واربعين نبيا من أول النهار في ساعة واحدة فقام مائة وسبعون رجلا فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوهم جميعا من آخر النهار من ذلك اليوم) رواه ابن أبي حاتم ـ نقلا من تفسير ابن كثير ج ١ .

٧ ـ حتى المبعوث الدولي الذي أوفده السكرتير العام للأمم المتحدة في الفترة الأخيرة لتقصي الأوضاع والحقائق في الأراضي المحتلة بأرض فلسطين لم ينج من رصاص اليهود الا بمعجزة فقد كان الرجل يتحرى الموقف في مخيم من مخيمات الفلسطينيين واذا بالقوات اليهودية لا تعبأ بتجمعهم وشرعت تطلق النار عليه ولو لم يبادر المبعوث الدولي بالجري تفاديا للرصاص لربما لقي مصرعه دون أن تشفع له حصانته الدولية أو مهمته السلمية وهذا يعيد الى الأذهان قصة مصرع الكونت برنادوت على يد عصابة شتيرن الارهابية الصهيونية سنة ١٩٤٨م فقد كان الرجل وسيطا للأمم المتحدة في النزاع العربي الاسرائيلي ووضع تقريرا يحد من مساحة اسرائيل المقترحة بعض الشيء خارج اطار مساحتها التي كانت مقدرة فلقي حتفه بفعل العصابات اليهودية المتعصبة .

وقتلهم للأنبياء بغير حق وقتلهم المصلحين من الناس أو تآمرهم على قتلهم يشير الى انطماس بصيرتهم وعتوهم في الشر فصاروا أعداء للحق لا يألفونه ولا يرتاحون اليه في أي زمان ومكان وصدق الله فيما وصفهم به في قرآنه

الكريم بقوله تعالى : (**ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون**) البقرة/ ٧٤ .



ان الله عليم بذات الصدور

يقول تعالى في سورة آل عمران :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾

اشد الاعمال

قال علي كرم الله وجهه : أشد الأعمال ثلاثة :
ذكر الله على كل حال، ومواساة الإخوان بالمال وإنصاف الناس من نفسك .

ضالة المؤمن

خطب الحجاج يوما فقال : ان الله امرنا بطلب الآخرة ، وكفانا مؤونة الدنيا .
فليتنا كفينا مؤونة الآخرة ، وامرنا بطلب الدنيا .
فسمعها الحسن البصري .
فقال : هذه ضالة المؤمن .

دعاء

يستحب للمسافر أن يقول - اذا خرج من بيته - :
« بسم الله ، توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، اللهم إني أعوذ بك أن أضِل أو أُضَل ، أو أزِل أو أُزَل أو أظلِم أو أُظلَم أو أجهَل أو يُجهَل عليّ » .

حرمة مكة والمدينة

عن عبدالله بن زيد رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إن إبراهيم حرم مكة ودعا لها وحرمتُ المدينة كما حرم ابراهيم مكة ودعوتُ لها ، في مُدِّها وصاعها ، مثل ما دعا ابراهيم عليه السلام لمكة » . اخرجه البخاري

لا تنسنا من دعائك

قال عمر رضي الله عنه : استأذنت النبي صلى الله عليه وسلم في العمرة ، فأذن لي ، وقال : « لا تنسنا يا أخي من دعائك » ، فقال : « كلمة ما يسرني أن لي بها الدنيا » .



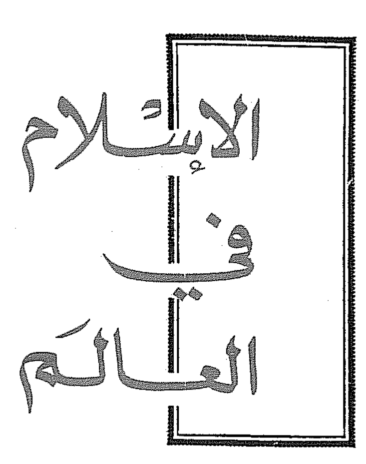
الكامل

قال حكيم : الكامل من عدت هفواته

حب الصالحين

قال الشاعر :

يارب كن لي وليا بالحفظ حتى أطيعك
فإن ذممت صنيعي فقد حمدت صنيعك
أو كنت أعصيك إني أحب فيك مطيعك



في الفترة من القرن الرابع عشر وحتى القرن السادس عشر استولى الأتراك العثمانيون على الجزء الأكبر من شبه جزيرة البلقان ، وعلى جزء كبير من وادي نهر الدانوب . وظل الأتراك العثمانيـون يحكمون هـذه المنطقة ما يربو على الخمسة قرون ، الأمر الذي أحدث بها تغيرات عميقة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والدينية والثقافية .

وقد اعتنق الاسلام في ظل الأتراك العثمـانيين عـدد كبير من أفـراد الشعوب اليوغسـلافية من سكـان البوسنة والهرسك ومقدونية وصربيا وكرواتيا والجبل الأسود وكوسوفو وغيرها من المناطق ، بل ويمكن القول أن العثمانيين نجحـوا في استثمار نشاط جزء كبير من اليوغسلاف في إقامة الامبراطورية العثمانية وفي نشر عناصر الحضارة الاسلامية .

وبهذه الطريقة أصبح اليوغسلاف لا يقاومون التأثيرات الشرقية الآتية لهم عن طـريق العثمانيـين وسـهل تقبلهم لها .



المساجد في يوغسلافيا

للدكتور/
جمال الدين
سيد محمد

وترك الأتراك العثمانيون في الأراضي اليوغسلافية العديد من التأثيرات الاسلامية ، وعمقوا جذورها بين سكان هذه المناطق لدرجة أن كثيرا من هذه التأثيرات والعناصر ما زال موجودا حتى بعد انحسار وزوال السيطرة العثمانية ، بل هي

موجودة حتى يومنا هذا . والأدلة على ذلك متعددة ومتواجدة في كل مكان من

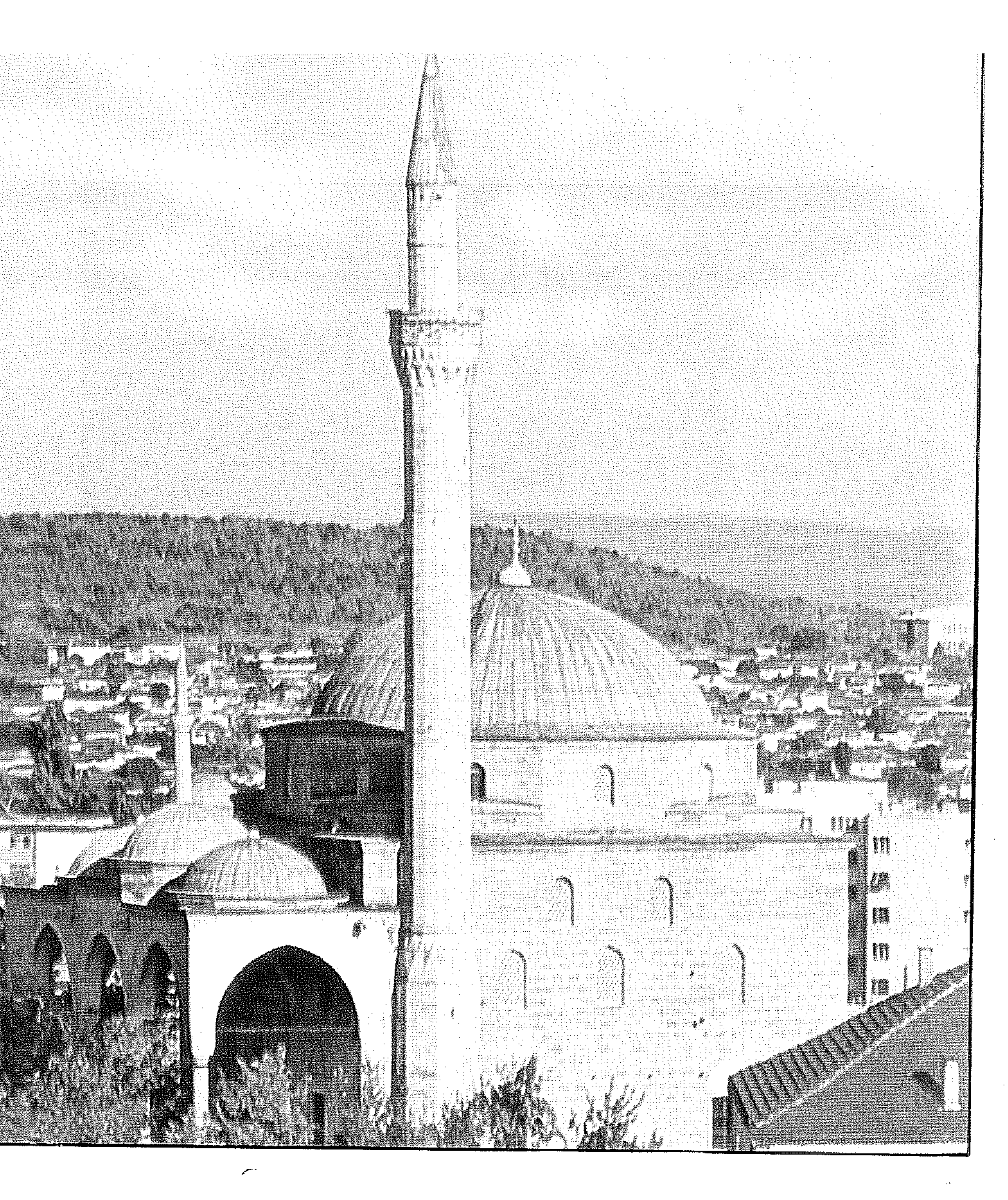
يوغسلافيا . ونظرة واحدة الى المدن والقرى التي كان يكثر فيها المسلمون خلال الحكم العثماني في الأراضي اليوغسلافية كفيلة بأن تبين لنا تعدد جوانب وعمق التأثيرات الاسلامية .

ونظرا لما للمسجد من اهمية كبيرة ودور متعدد الجوانب في المجتمع الاسلامي فقد شيد الأتراك العثمانيون عددا كبيرا من المساجد في الأراضي اليوغسلافية . وكان عدد المساجد الضخمة في كل مدينة اسلامية يمثل أحد المؤشرات الرئيسة لضخامة المدينة ولأهميتها . ولم يتمكن أحد حتى الآن من تحديد عدد هذه المساجد نظرا لانهيار بعضها وتدمير بعضها في الحروب المختلفة التي تعرضت لها الأراضي اليوغسلافية . ويقدر عدد المساجد الموجودة حاليا في يوغسلافيا كلها بحوالي ٢١٩٠ مسجدا ، ولكن لا يمكن قبول هذا الرقم الا مع التحفظ الشديد .

ومن الملاحظ انه تم في الآونة الأخيرة تشييد عدد لا بأس به من المساجد الجديدة ، وكان آخرها المسجد الذي تم إنشاؤه في زغرب وافتتح رسميا في سبتمبر سنة ١٩٨٧م والذي أثار العديد من المناقشات والمجادلات غير العادية في يوغسلافيا وتم كذلك إجراء تجديدات شاملة لعدد كبير من المساجد الأخرى . وهذا يرجع ، في المقام الأول ، إلى ارتفاع مستوى معيشة المسلمين اليوغسلاف وإلى رغبتهم في ان تكون لديهم مساجد جيدة حديثة مجهزة افضل تجهيز ، هذا علاوة على التبرعات التي يرسلها المسلمون العاملون خارج الأراضي اليوغسلافية . ومن الجميل أن القرى والمدن تتنافس بين بعضها في تشييد المساجد الحديثة وتجديد وصيانة القديم منها .

وهذه الرغبة العارمة من جانب المسلمين اليوغسلاف لاقامة العديد من المساجد الجديدة دعت رئاسة الجماعة الاسلامية في يوغسلافيا إلى وضع مجموعة من القواعد والضوابط التي لابد من الالتزام بها عند اتخاذ القرارات الخاصة ببناء الجديد من المساجد . فإذا تقدمت مجموعة من المسلمين بمبادرة لتشييد مسجد في احد الأماكن فلابد ان يوافق على هذه المبادرة المجلس المحلي للجماعة الاسلامية ، وإذا حصلت المبادرة على موافقته يتم عرضها ومناقشتها في لجنة رئاسة الجماعة الاسلامية بالجمهورية . وبعد الحصول على تصريح بالبناء من جهات الاختصاص تصدر اللجنة قرارها النهائي وفقا للوائح المنظمة لهذه الأمور .

وإمام المسجد شخصية على قدر كبير من الأهمية بين المسلمين اليوغسلاف ، فهو يتولى مهمة تعليم مبادىء الدين الاسلامي وتعاليمه ومبادىء اللغة العربية للنشء ، وذلك إلى جانب إمامة الصلاة وإلقاء دروس الوعظ وخطبة يوم الجمعة والمحاضرات والدروس الدينية للكبار . وهو يعقد كذلك بعض حلقات



الدروس والندوات الدينية في المساء . ويقوم ايضا بإلقاء دروس الوعظ ، وعقد الندوات في منازل المسلمين ، وإنشاد قصائد المدح النبوي في المناسبات المختلفة ، هذا علاوة على قيامه بعقد قران الراغبين في الزواج على الطريقة الاسلامية .

ومن أقدم المساجد في سكوبلى بمقدونية مسجد هيوميتشار ، وهو من أوقاف السلطان مراد الثاني (١٤٢١ ـ ١٤٥١)م وبجانب المسجد يوجد برج تعلوه ساعة ، وهو يعطي مظهرا مهيبا لهذا الجزء من المدينة . وهذا البرج من أقدم الأبراج التي تم تشييدها في العهد العثماني في مقدونية . وكان هذا المسجد من أجمل المساجد في منطقة البلقان ، ولكن بعد حريق عام (١٥٣٧) م تغير شكله الأصلى ، كما اصيب بأضرار اخرى في حريق عام (١٦٨٩م) حينما أشعل

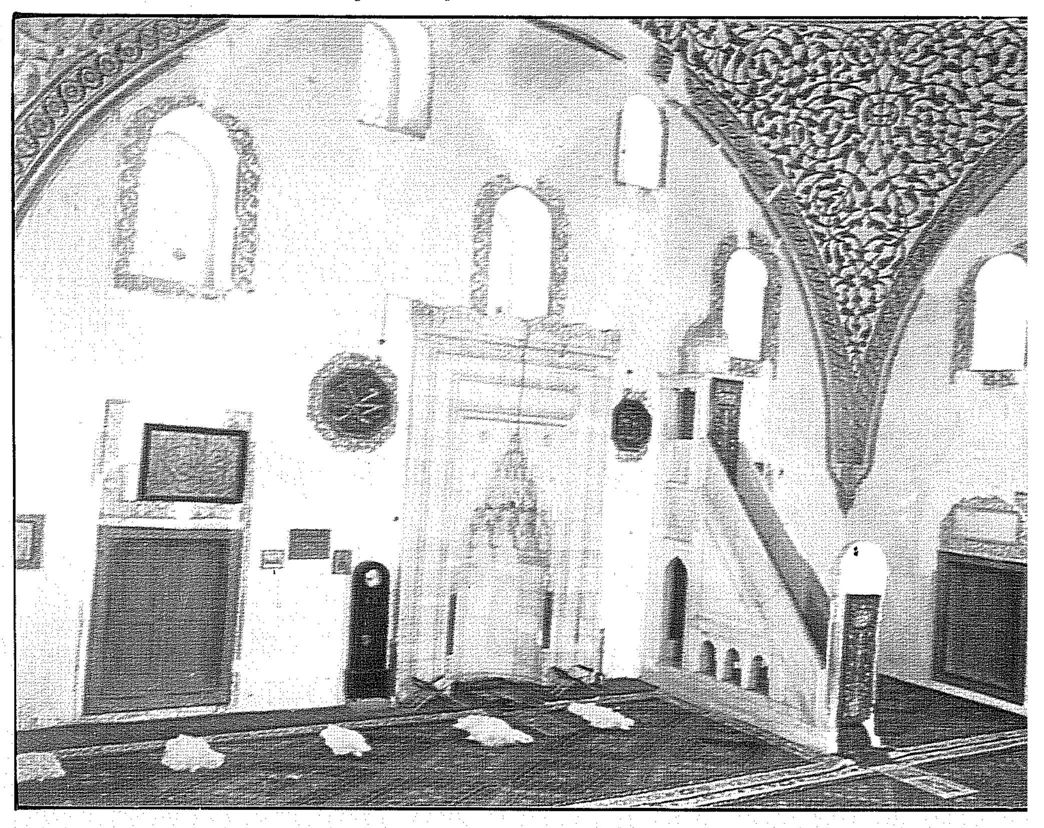


القائد النمساوي بيكولوميني النار في مدينة سكوبلي .
ثم جرت به تجديدات في عام (١٧١٢) م بحيث حصل المسجد على شكله الحالي . ولكن من الواضح انه يلزم الكثير من الجهود والمال من أجل ترميم وتجديد المسجد والبرج وتجميل المنطقة المحيطة بهما .

ومسجد غازي عيسى مشيد في نفس الفترة ، وقبابه المزدوجة تذكرنا بالمسجد الموجود في بروسة .

ومن أجمل المساجد الحالية ، والسابقة ايضا ، مسجد مصطفى باشا المشيد في عام (١٤٩٢)م بسكوبلي . وهو مشيد من الأحجار وقوالب الطوب ، الأمر الذي يعطيه منظرا غاية في الجمال والروعة . وترتفع مئذنته الهيفاء الى حوالي (٤٧) مترا مما يجذب النظر اليها .
وللمسجد قبة ضخمة ورواق مفتوح ومكان للوضوء .

وبمدينة أوهريد توجد تكية محمد حياتي التي أسسها محمد حياتي بابا الذي يرجع اصله الى منطقة خراسان وكان يعيش في القرن السادس عشر . وقد أتى إلى هذه المناطق بناء على توصية من شيخه الذي كان يعيش في سيريز باليونان . وقد قدم حياتي بابا اولا الى مدينة كيتشيفو حيث أقام أول تكية ونصب عليها شيخا ، الشيخ



أحمد أفندى ، وبعد ذلك اتجه إلى أوهريد حيث أقام تكية أخرى .

وتاريخ إنشاء هذه التكية طريف للغاية . ففي أحد الأيام نادى محمد حياتي على بعض العمال الأجراء الذين كانوا يتجمعون في وسط السوق في انتظار من يستدعيهم للعمل . وحينما سألوه عن العمل الذي سيقومون به عنده . أجابهم بقوله : سنتعلم لا إله إلا الله . فذهب العمال معه وتعلموا منه الذكر . وبعد ذلك دفع لهم محمد حياتي بابا أجرا مجزيا ودعاهم للحضور عنده في الغد لكي يقوموا بنفس العمل .

وهكذا كان العمال يترددون عليه لفترة طويلة من الوقت وكان يدفع لهم يوميا أجورهم . ثم رفض أحد العمال ان يقبل الأجر قائلا : سأعمل اليوم مجانا . وبعد فترة من الوقت قال بعض العمال إنهم سيقومون بالذكر دون الحصول على أجر ، وهكذا بدأت حلقات الذكر اليومية في التكية وغرس محمد حياتي شجرة في وسط مدينة اوهريد مازالت موجودة حتى يومنا هذا وتعتبر من آثار المدينة . وشكل هذه الشجرة غريب فجزعها عريض لدرجة ان خمسة أشخاص لا يمكنهم ان يحيطوا به .

ولاشك ان الجامع المزركش بمدينة تيتوفو سيبهرك بزخارفه الفنية على واجهته وبألوانه المتعددة من الداخل . ويسمى هذا الجامع ايضا بجامع آلاجا ، كما يسمى بجامع الباشا نسبة إلى عبدالرحمن باشا الذي جدده تجديدا شاملا كاملا في حوالي عامي ١٨٣٣ ـ ١٨٣٤م . وكان يوجد في مكانه جامع آخر تحطم تحطيما كاملا . وقام فاعل الخير عبدالرحمن باشا بتجديده وشيد منبره من المرمر وامر بتلوينه وتصميم الرسومات على جدرانه وتزيينها بالزخارف والنقوش العربية .

ولابد من التنويه إلى أنهم يفرقون في يوغسلافيا بين الجامع والمسجد ، فالمسجد في نظرهم مساحته صغيرة ولا يوجد به منبر وليست له مئذنة .

وعلى مدخل الجامع المزركش توجد لوحة مرمرية ومنقوشة عليها أبيات شعرية باللغة التركية . وهي منقوشة على ثماني وأربعين مساحة مربعة، والابيات مكتوبة على اربع وأربعين مساحة بينما النقوش والزخارف تشغل الأربع مساحات الباقية . ويقال إن الابيات الشعرية من تأليف درويش محمد مرادي .

وتوجد بالمدينة ايضا تكية سرسم على بابا او تكية عراباتي بابا .

وهي تتألف من مجموعة غير مألوفة من المباني بما في ذلك مسجد متواضع ودار كبيرة للضيافة مكونة من طابقين ومكان للتعبد وجناح من طابق واحد خاص باستقبال الضيوف ، بالاضافة الى نافورة وعدة مبان ملحقة ، وكلها محاطة بأسوار عالية بها أبراج وبوابات .

وتكية عراباتي بابا من أجمل النماذج الباقية للعمارة الاسلامية في مقدونية . ويتجلى ذلك في كل مبنى من هذه المجموعة من المباني ابتداء من باب الدخول الضخم الحصين وانتهاء بالمباني المبعثرة داخل الفناء الفسيح . وكل المباني مشيدة وفقا لتصميم جيد ، والنظام الداخلي يناسب تماما احتياجات الانسان . والزخارف الرائعة تقوم على اسلوب الباروك الشرقي ولكن مع الاحتفاظ بالعناصر الشرقية المشهورة لفن العمارة ، وكلها منفذة على الخشب أو بوساطة خليط من المواد .
والحقيقة ان كل مبنى من هذه المباني يمثل بذاته تجربة فنية وذلك بفضل البنائين المهرة الذين تم استدعاؤهم خصيصا لذلك من تركيا وأدرنة والقسطنطينية وغيرها من المدن . وقد تم في الوقت الحالي تحويل تكية عراباتي بابا لكي تكون فندقا ومطعما ومتحفا يجذب العديد من السائحين الاجانب .

ومن تلك المساجد الجديدة ذلك المسجد الذي أقيم في ديبار والذي بلغت مساحته ٢٨ × ١٦ مترا ، ويبلغ عدد المصلين به وقت صلاة الجمعة حوالي اربعمائة شخص ، ومع ذلك يظل بالجامع متسع لما يزيد على مائة شخص أخرين . وللمسجد قبة تستند على اربعة اعمدة ، ويوجد أمام الجامع فناء ممتد به صنابير المياه للوضوء ، وهي مياه آتية من نبع

موجود في فناء المسجد . ومئذنته بشكلها وأبعادها تنسجم انسجاما كاملا مع شكل المسجد وهندسته . وبه حوالي ٤٥ نافذة تسمح بدخول القدر الكافي من الضوء الى ساحة الجامع . وجدرانه بيضاء ومرصعة بأسماء الله الحسنى وكذلك أسماء جميع الرسل المذكورين في القرآن . والمحراب والمنبر مزينان برسومات لباقات من الورود أو بورود بارزة .

والحقيقة ان النقوش الموجودة بهذا المسجد كثيرة للغاية ومن المؤكد انه قد تم إنفاق كثير من الأموال عليها ، كما انها قد تلفت أنظار المصلين وتشتت انتباهم أثناء الصلاة .

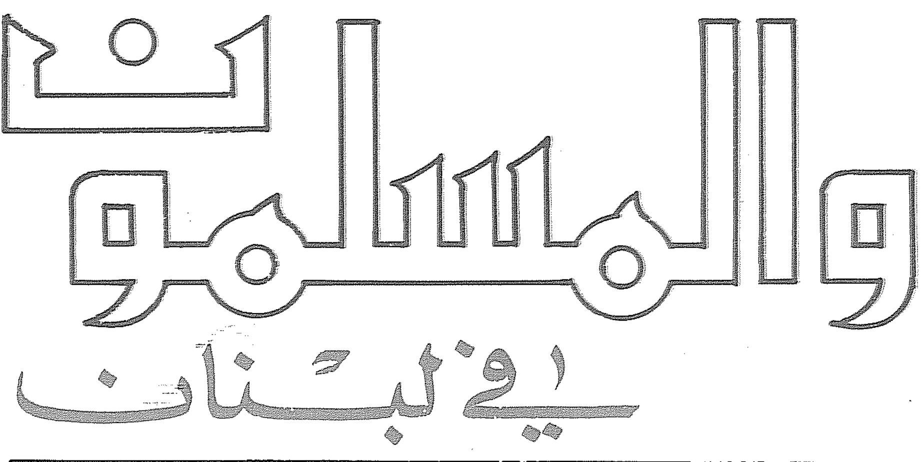
والمسجد مزين بعديد من الثريات الثمينة وساعات الحائط وكلها هدايا مقدمة من اتباع الجماعة الاسلامية . وارضية المسجد مغطاة كلها بالموكيت . وقد بدأ تشييد المسجد الجديد في عام ١٩٧٤ . وكان يوجد في نفس هذا المكان جامع دمر بسبب الزلزال الذي وقع في عام ١٩٦٧م .

وفي عام ١٩٨٣م تم افتتاح مسجد جديد في قرية ديبريشا على بعد كيلومترين من مدينة جوستيفار . ولم يكن الجامع القديم كافيا لسد احتياجات المصلين ولذا نشأت الحاجة الى بناء مسجد آخر في وسط هذه القرية التي يتزايد فيها عدد المسلمين . وقد استغرق بناء هذا المسجد ما يقرب من السنتين وساهم في إنشائه كل المسلمين

وتبلغ مساحة المسجد ١٧ × ١٩ مترا ويصل ارتفاع المئذنة الى حوالي ٣٥ مترا ولها شرفتان،ومكان الوضوء به ما يقرب من ١٢ صنبورا ، والمسجد من الداخل مزين بالثريات . وعند افتتاح المسجد ردد الحاضرون التكبيرات وازدحم المسجد من داخله وخارجه بالمسلمين الذين جاءوا لكي يستمعوا لتلاوة القرآن الكريم التي كان يقوم بها حفظة القرآن الشباب من مدن سكوبلى وجوستيفار وتيتوفو ، ولكي يستمعوا الى الدرس وإلى كلمات التهنئة .

وقد لاحظت في الآونة الآخيرة اهتماما غير عادي من وسائل الاعلام في الدول العربية والاسلامية بالمسائل المتعلقة بالاسلام والمسلمين في يوغسلافيا والحقيقة ان بعض الصحف والمجلات تكتب كتابات موضوعية علمية واقعية عن الاسلام في يوغسلافيا وعن الظروف التي يعيش فيها المسلمون اليوغسلاف بحلوها ومرها .

وهناك بعض الصحف تكتب - لاسباب كثيرة - امورا لا أساس لها من الصحة ولا تقوم على أسانيد واقعية . وهذه الكتابات تهدف في أساسها إلى تشويه صورة الاسلام في يوغسلافيا ونشاط الجماعة الاسلامية ويمكنني ان أقول بأن الاسلام بخير في الوقت الحالي في يوغسلافيا وأن المسلمين اليوغسلاف من أكثر الجماعات تنظيما وانتظاما . ويحق لنا نحن المسلمين العرب ان نفتخر بوجود مثل هؤلاء المسلمين في يوغسلافيا .



حوار اجراه : الأستاذ/خالد بو قماز

زار الكويت في الفترة الاخيرة وفد لبناني يمثل دار الفتوى برئاسة مفتي لبنان فضيلة الشيخ/حسن خالد وقد تشرف الوفد بمقابلة ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ/سعد العبدالله الصباح . كما قابل الوفد وزراء الأوقاف والصحة والاعلام ، وقد قام الوفد بجولة في أرجاء وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ، ويطيب لمجلة الوعي الاسلامي أن تقدم لقرائها الأعزاء ذلك الحوار الذي أجرته مع سماحة مفتي لبنان الشيخ/حسن خالد والذي تناول احوال المسلمين وما يعانونه ومجهودات دار الفتوى في خدمة الاسلام والمسلمين في لبنان .

□ كيف تنتظم الامور الشرعية للمسلمين في لبنان ، وما هي الجهات القائمة على هذا التنظيم ؟

● المسلمون السنة كبقية سائر الطوائف مستقلون بامورهم الدينية ، ولهم في ذلك سلطة اصدار التشريعات والقوانين والانظمة المتعلقة بكل قضاياهم الدينية . ويتولي ذلك المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى الذي يرأسه مفتي الجمهورية

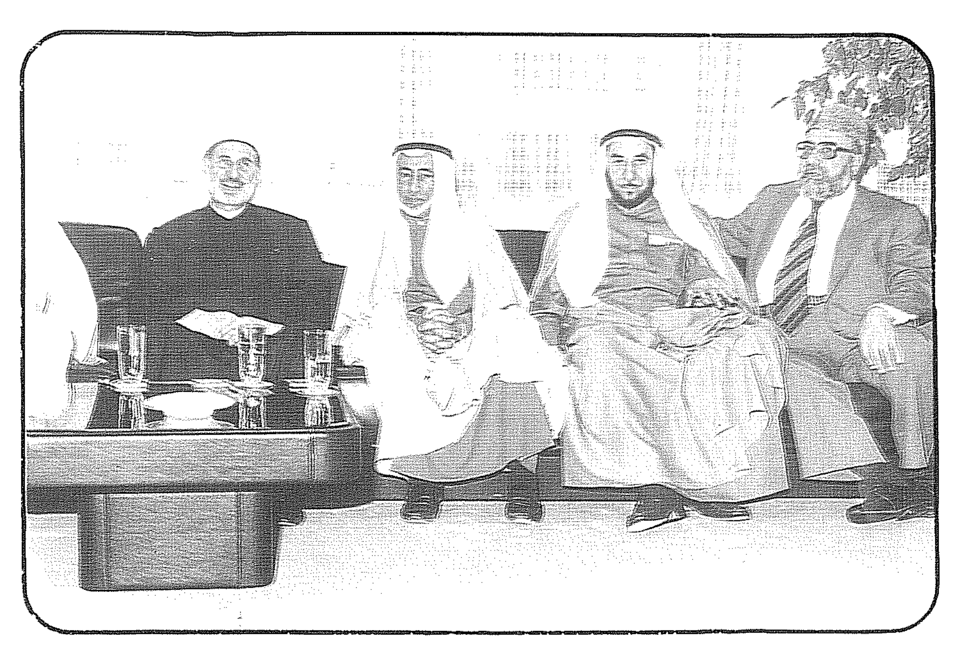


اللبنانية . ويتألف هذا المجلس من حوالي اربعين عضوا يمثلون كافة المناطق الاسلامية ، ومن بينهم اعضاء دائمون هم رئيس الوزراء وجميع رؤساء الوزراء السابقين ، ومن بينهم عدد يعينهم مفتي الجمهورية من اصحاب الاختصاصات العليا ، والباقون يتم انتخابهم كل اربع سنوات من قبل النواب المسلمين والقضاة والعلماء ورؤساء النقابات وعدد من الجمعيات الاسلامية ومفتي الجمهورية هو الرئيس الدائم لهذا المجلس وفي الوقت نفسه هو رئيس مجلس القضاء الشرعي الاعلى الذي يشرف على المحاكم الشرعية السنية ، كما ان المفتي يشرف على جميع الادارات الوقفية في لبنان ، وبالتالي يرأس عمادة كلية الدعوة الاسلامية وصندوق الزكاة .

وهو بصفته الرسمية يعتبر الرئيس الديني للمسلمين وممثلهم بهذه الصفة لدى السلطات الرسمية ويرعى كافة شئونهم ومؤسساتهم الصحية والتربوية والاجتماعية .

□ ومن يشرف على التعليم الديني في المدارس ؟

● ان الادارات الوقفية تختار مدرسي الدين الذين يتولون تدريس الثقافة الاسلامية في جميع المدارس الرسمية . وتنتدبهم للقيام بهذه المهمة وتتولى اعطاءهم المرتبات . وهذا عبء مالي كبير نتحمله بالاضافة الى الاعباء المالية الاخرى . وكان من المفترض ان تتولى الدولة امر الانفاق على التعليم الديني لانها هي المسؤولة عن المدارس وعن الانفاق عليها . لكن الدولة في لبنان تركت هذا الامر للمؤسسات الدينية .



□ وماذا بالنسبة للعناية بتعليم القرآن الكريم ؟

● اننا مع توجيه مدرسي الدين في المدارس للاهتمام بتعليم قراءة القرآن الكريم وتجويده ، فاننا منذ سنوات نولي اهتماما خاصا بفتح دورات قرآنية في جميع المناطق اللبنانية طوال اشهر الصيف لجميع تلامذة المدارس بحيث لم يعد في لبنان اية قرية الا وتقيم دورة قرآنية والجدير بالتقدير ان الاقبال على هذه الدورات اصبح كبيرا جدا وما تكاد ايام الصيف تنتهي حتى تقام احتفالات في جميع المدارس والمساجد والمراكز الاسلامية لتسليم شهادات للطلاب وتوزيع جوائز على المتفوقين مما يشجع الكثيرين على المشاركة في هذه الدورات .

س : كم عدد العلماء والعاملين في الوظائف الدينية في لبنان ؟

جـ - يبلغ عدد هؤلاء الالف ، من علماء ودعاة وقائمين بالشعائر الدينية وموظفين في المساجد .

□ من اين يتقاضون مرتباتهم ؟

● لبنان بلد متعدد الطوائف ولذلك فان الشؤون الدينية متروكة للطوائف التي تنظمها وتقوم بالانفاق عليها . فليس في لبنان وزارة للشؤون الدينية أو للاوقاف ، ولا تقدم الدولة مساعدات مالية من اجل الشؤون الدينية . وليس للمسلمين مصدر لتغطية الاعباء المالية الا واردات العقارات الموقوفة على المساجد . هذه العقارات الموقوفة منذ مئات السنين والتي لا تغطي عائداتها الا جزءا يسيرا من ميزانيات الادارات الوقفية . وقد أصبحت هذه العائدات قليلة جدا لاسباب عدة ، منها ضالة القيمة التأجيرية للعقارات القديمة وتناقص غلتها ، ومنها زيادة اعباء الادارات الوقفية بسبب ازدياد عدد المساجد بشكل كبير دون ان يوقف عليها شيء ، واتساع دائرة التعليم الديني في المدارس وضرورة زيادة المرتبات دوريا ، ثم كانت الكارثة الضخمة بتدمير الكثير من العقارات الوقفية بسبب الحرب اللبنانية ، ومن ذلك عقارات اوقاف بيروت

التي تهدمت جميعها ، ثم كانت الكارثة الاشد في انهيار النقد اللبناني وعجز الدوائر الوقفية عن دفع مرتبات تتناسب مع التضخم المالي وحاجات الموظفين ولقد اصبحت الاجهزة الدينية تبعا لذلك مضطرة لتأمين مصادر تمويل من الدول والمؤسسات الاسلامية .

ومن اجل ذلك ناشدنا ومازلنا نناشد اخواننا في البلاد العربية الاسلامية الاهتمام بهذا الموضوع واعطاءه حقه من الدعم والرعاية .

□ ما هي المعاهد الدينية التي تشرفون عليها ؟

ـ هناك عدد من المعاهد داخلة كليا في نطاق اشرافنا العملي ومسؤوليتنا الكاملة .

في مقدمتها كلية الدعوة الاسلامية التي مضى على انشائها عدة سنوات وقد تمكنا بفضل الله من انشائها في سنوات الحرب بعد ان وعد البعض بدعمها ثم تراجع عن ذلك بحجة ان الايام لا تساعد على انشاء كليات ومعاهد والافضل الانتظار لما بعد الحرب . ورأينا ان من مصلحة المسلمين مواجهة التحديات التي تتهدد عقيدتهم وثقافتهم فأ نشأنا الكلية وقد بدأت بتخريج افواج من العلماء والدعاة .

وهناك عدد من المعاهد الثانوية . هي ازهر لبنان والقسم الشرعي بمدينة طرابلس وهو عبارة عن معهدين دينيين واحد للذكور واخر للاناث ، ثم هناك ازهر البقاع الذي افتتح مؤخرا .

ان كل الظروف المأساوية التي تحيط بلبنان ، وكل التيارات المعادية للاسلام لم تتمكن من اضعاف المسلمين ولا التأثير في سلامة معتقدهم وأصالة ثقافتهم ، بل على العكس من ذلك تماما ، فان كل ذلك قد حفزهم للمزيد من الوعي الاسلامي والتمسك باهداب الدين والاقبال على المساجد .

□ ما هي المنطلقات التي يجب على المسلمين التمسك بها واعطاؤها الاولوية للقيام بنهضة جديدة واعية ؟

● ماذا نعني بمفهوم النهضة ؟ هذا ما يجب تحديده اولا حتى لا يشتبه القول وحتى لا يضيع الوعي .

فمن اخطر المشكلات المعاصرة ، التباس المفهومات وتداخلها ، وضياع الرؤية ، وفقدان الرؤية .

فقد يرى البعض بحق ، ان هناك تخلفا في واقع المسلمين . ويسمع عن التخلف الذي يسود في كثير من ارجاء العالم . ثم ينظر الى العالم الغربي والقوي نظرة انبهار وتقدير ، ويقع في خلده لكثرة ما يسمع عن تقدم هذا العالم ، أن ميزان التقدم هو في تقليد هذا العالم وسلوك مسالكه والسير وراءه واعتماد مناهجه وأن معيار التخلف هو في مخالفة قيمه ومناهجه وثقافته واهدافه .

وتلك هي مأساة ما يسمى بالعالم الثالث الذي فقد اصالته وغايته واخذ يلهث وراء الاخرين مأخوذا بالمظهر المادي والقشرة



الحضارية .

فلا يجوز للعالم الاسلامي ان يقع في مغالطات تبدأ من عدم تحديد المفهوم وتحديد المنهج والغاية .

ونهضتنا الاسلامية يجب ان تقوم على الوعي الاسلامي . هذا الوعي الذي لا يتوقف عند الجزئيات ، بل يجمع فيما بينها ويعطيها حجمها الذي لا يطغى على سواها ، ويرتقى الى الكليات والاهداف في تحقيق مفهوم الاسلام في مجال العبادة والتسامي ، وفي نطاق الحياة والحركة الانسانية .

ان نهضة العالم الاسلامي على اساس الوعي الكامل بحقائق الاسلام هي النهضة المرتجاة لواقع المسلمين الذين طال عليهم الامد وتخلوا عن دورهم الانقاذي لانفسهم وللناس .

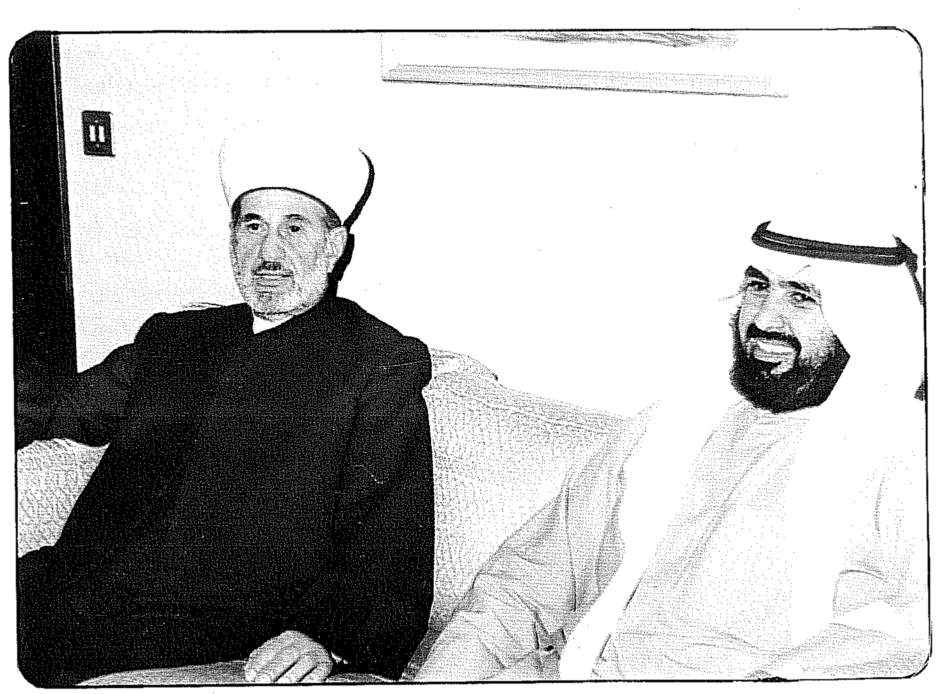
ان الاعلام الكبير عن رسالة الاسلام أنه يحمل الرحمة للعالمين . هذه الرحمة هي التي تخلص الناس من شقائهم ومعاناتهم ، وتحررهم من اوهامهم وانحرافاتهم ، وتعد لهم كل اسباب السكينة في النفس والاستقرار في المجتمع ، وتعد البشر للفوز بالنعيم الابدي في رضوان الله .

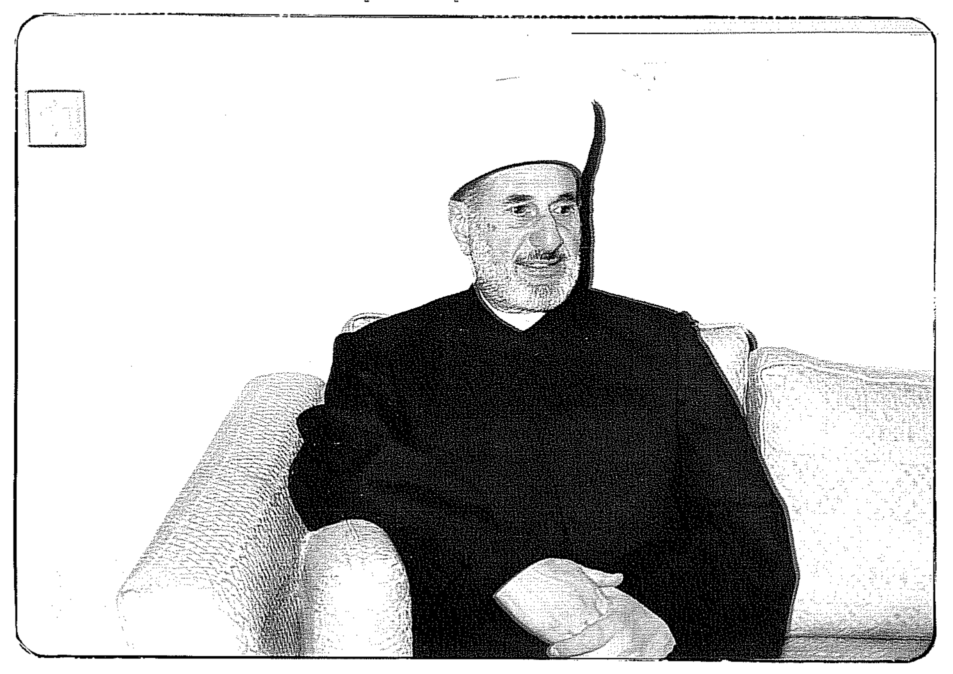
ان للنهضة الاسلامية معالم كبرى يجب ان تتضح في افكار المسلمين وتصوراتهم ومشاعرهم لتأخذ طريقها الى صحوة اسلامية رشيدة .

س ـ ما هي جهودكم لتحقيق الوفاق في لبنان ؟

ج ـ ان الازمة اللبنانية قديمة العهد . وهي تتخذ صورا متعددة وفق الظروف السياسية وغيرها ، وتتأثر تأثرا مباشرا بالوضع في المنطقة وبالمداخلات الدولية التي توظف الاوضاع اللبنانية لتحقيق مصالحها المختلفة سواء في لبنان او ما جاوره من بلدان عربية .

والمسلمون في لبنان يتحملون اعباء جسيمة من اجل دفع كثير من المشكلات عن امتهم ، يصبرون ويضحون للحفاظ على وجودهم الاسلامي . ان كثيرا من الدول الاجنبية مازالت تتوارث الافكار والمخططات منذ الحروب الصليبية وتتخذ من لبنان رأس





جسر ثقافي وسياسي للتسلل اليه والى المنطقة .

وتتلاقى هذه المصالح مع اهواء فريق من الطائفيين الذين يعيشون بتصورات غريبة عن المنطقة ويتعسفون في اقناع انفسهم واقناع ابناء طوائفهم بغربة لبنان عن الامة العربية .. وقد زادت المشكلة تعقيدا باستغلال اسرائيل للمطامع الدولية والانحرافات الطائفية فحاولت انشاء تحالف مع الانعزال الطائفي للعمل على تشكيل دويلة طائفية في لبنان ودويلات طائفية في الدول العربية .. فتحركت الازمة واخذت طابعها العسكري التدميري ، واستطاعت اسرائيل وادواتها ان تربط الحل في لبنان بالحل لسائر قضايا المنطقة المعقدة وفي مقدمتها القضية الفلسطينية .

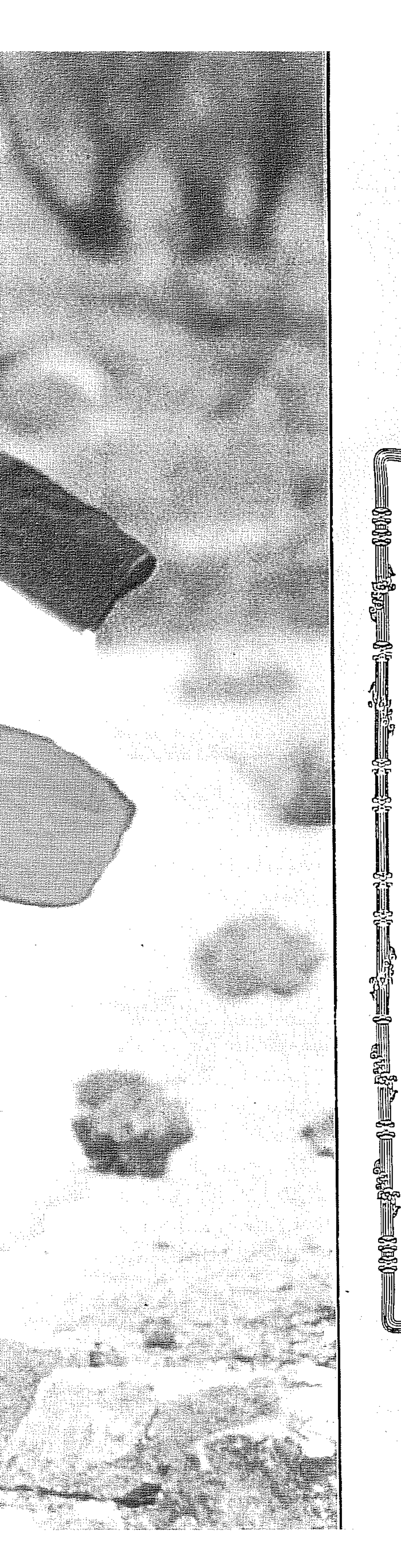
وللمسلمين قضية في لبنان . هذه القضية تتلخص في امرين : **اولهما** : فيما يسمى عروبة لبنان ، اي في انهاء التزييف الذي يحدده الطائفيون والمغرضون لهوية لبنان وكيانه الاجتماعي . **وثانيهما** : تحقيق الاصلاح في لبنان أي في انهاء حالة التمييز الطائفي والتسلط الفئوي ، واعطاء كل ذي حق حقه . فالمسلمون وهم الاكثرية في لبنان لا يطالبون باكثر من تحقيق العدالة كاملة ، وتعديل الدستور ، ورعاية مصلحة الشعب . ان الشكوى من الفساد السياسي طويلة . والشكوى من التمييز الطائفي مريرة . وتكفي الاشارة الى حرمان المسلمين من كثير من حقوقهم ، ولهم مطالب وحقوق تندرج كلها تحت عنوان الاصلاح والعدالة.

ولقد دعونا لحل كل الخلافات واعتماد كل الاصلاحات باسلوب الحوار والتفاهم والاقتناع .

ورفضنا حمل السلاح لان السلاح لا يحمل في وجه المواطن ولأنه لا يحل قضية ، بل يزيد البلاد خرابا ، ويفتح الابواب لعدونا التاريخي .

ومازلنا ندعو لتحكيم العقل ، ويقظة الضمير ، مع الاصرار على الموقف وعدم التفريط باي حق .

ولبنان اليوم امام اشهر حاسمة ندعو الله ان تكون خاتمة المآسي والازمات وفاتحة السلام والاستقرار .



للاستاذ /

كمال عبدالكريم الوحيدي

أطفالنا الصغار ،
بل أحبابنا الكبار ،
أنتم جنود الإله ، أنتم حماة الذمار ،
أنتم في فم الدنيا هديل ونشيد وفخار ،
وفلسطين بكم قد ...

رماة الحجر!





تثنت دلالا بوجه أغر
يحاكي سناها ضياء القمر
وماست ببشر تشق الدجى
وتنشر للناس أحلى خبر
ترف البشائر مسرورة
تقول : (صلاح) جديد ظهر
وإن كان عمرو قديما أتى
فعمري الجديد تبدى وكر
ومن مسجدي العمري الكبير
نداء تعالى وليث زأر

★★★

ومن شم حيفا ومن صخرة
جهاد تسامى لدفع الضرر
جهاد به هب طفل صغير
يلاقي اليهود بضرب الحجر
بمقلاعه يرجم المعتدي
ويصفع وجه الخنا والخور
صخور جبالي سلاح الحبيب
وزيتي ضياء له من خطر
كساني السبيل أجل الثياب
ومن برتقالي يفوح الزهر

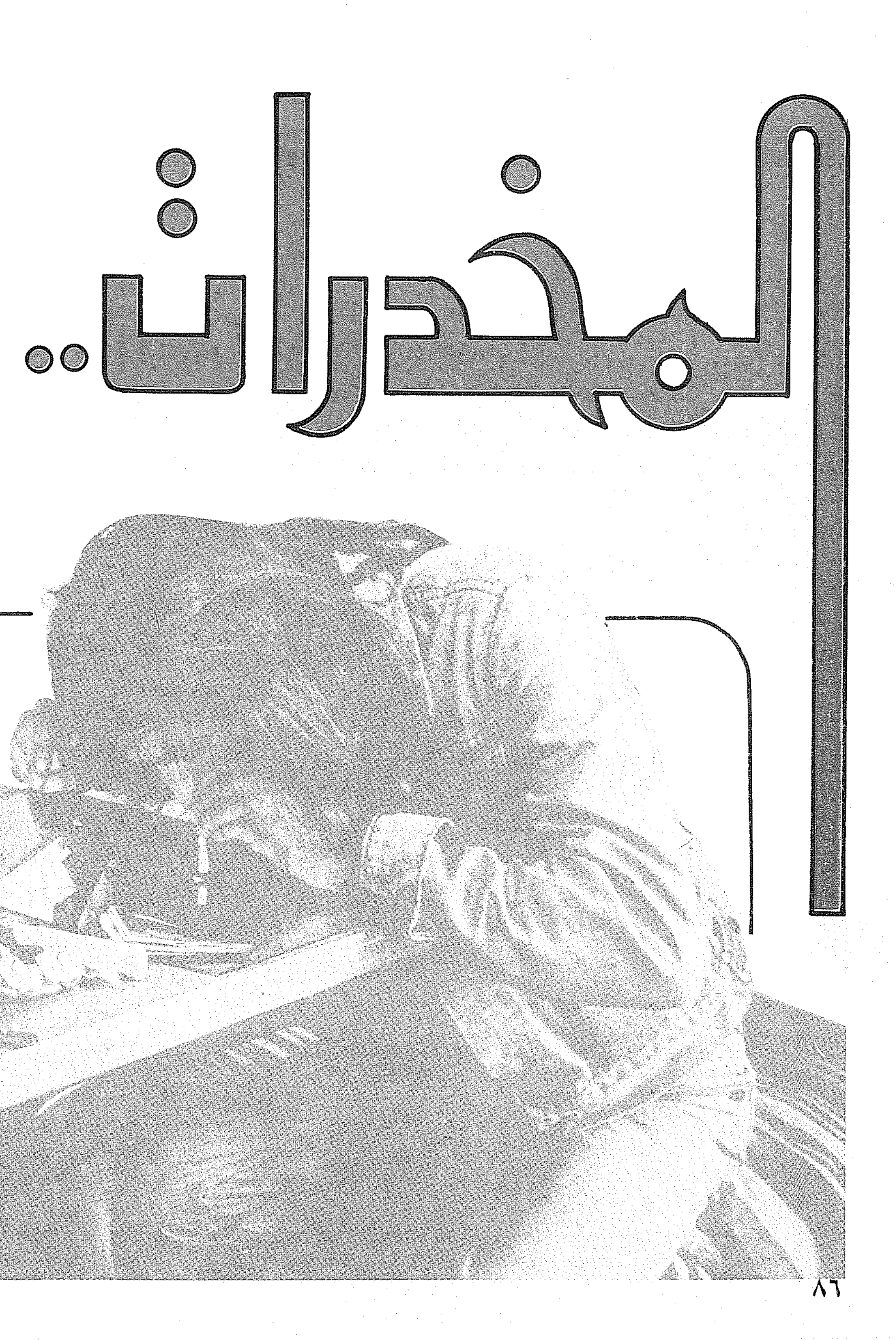
★★★

دماه أزالت صدى مهجتي
وأحيت عهودا بداها عمر
ففنه يفوح نسيم الوفا
وود نقي لرب البشر
وما نام في ذلة خانعا
ولا عق حقا جليا أغر
به قد ذكرت رجالا أباة
يذيقون طعم الردى من غدر
إلى الخصم لا ينحني ذلة
ولم يخش طفلي رعاة البقر

★★★

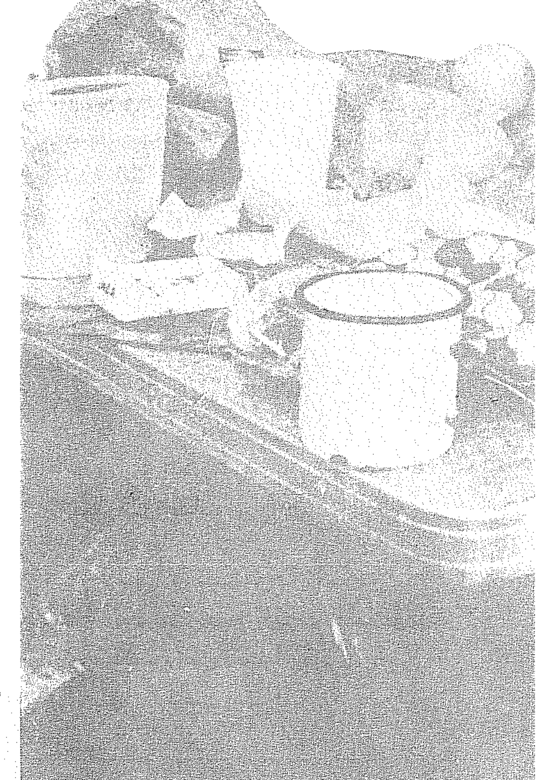
رأى طفلنا وجه قرد أثيم
بمسرى النبي الكريم الأبر
فهب إليه بعزم أكيد
يصب الحجارة مثل المطر
ويدمي جبين اليهود الكريه
ويكشف بالفعل زيف البطر
فلسطينيه أمه إنني
به بت أرنو ليوم الظفر
ففي عينه لاح فجر سعيد
وصبح الأماني ـ وربي ـ سفر
وحيا إلهي حماة الذمار
أسود العرين رماة الحجر

المخدرات..



هذا السمّ القاتل!

للأستاذ
عبد الرحمن الغلاييني



مشكلة المخدرات باتت من أخطر المشكلات التي تشغل بال المسؤولين في جميع دول العالم ، وجميع المنظمات العالمية وعلى رأسها هيئة الأمم المتحدة ، وأصبح معروفا أن المخدرات تضر بالمجتمع صحيا واقتصاديا ومعنويا ..

فمن الناحية الصحية فإن المواد المخدرة تؤثر تأثيرا سيئا على صحة الانسان وتذهب بعقله .

أما تأثيرها الاقتصادي فيرتبط ارتباطا وثيقا بأثرها على الصحة ،

فاعتلال الجسم يؤدي إلى ضعف الانتاج وانخفاض مستوى المعيشة .

وتؤدي هذه النتيجة الى ضرر آخر للمخدرات وهو الضرر الاجتماعي ..

فمما لا شك فيه أن الأسرة إذا هبط فيها مستوى الدخل وانصرف رب الأسرة عن رعاية أسرته فإن ذلك يؤدي الى انحلال الروابط الأسرية وضياع المثل الأخلاقية ، ويشب أفراد هذه الأسرة وقد فقدوا الرغبة في التكيف مع المجتمع .

ولا ينحصر أثر هذا الانحلال في محيط أسرة المدمن وحده ، بل يتعداه إلى سائر افراد المجتمع ، فمتى

ضعفت الرقابة على أفراد الأسرة انزلقوا في مهاوي الجريمة وأصابوا

بضررها الأسر الآمنة ، وقد يكون هذا تفسيرا كافيا لتأثير المخدرات وضررها على الأمن العام .

ما هي المخدرات ؟

هي كل ما يذهب بالعقل ، ويضر بالصحة ، ويسبب عادة الادمان .

فمتى توافرت هذه الصفات الثلاث في أية مادة اعتبرت مخدرا ، ودخلت بذلك في نطاق الرقابة التي تفرضها القوانين المحلية للدول المختلفة وطبقت عليها أحكام الرقابة الدولية التي تنص عليها المعاهدات والاتفاقات التي تعنى بتنظيم شؤون الرقابة على المواد المخدرة .

انواع المخدرات :

الاتفاقية التي تم التوقيع عليها بمدينة نيويورك عام ١٩٦١ حوت أكثر من تسعين مادة مخدرة ، ولكن يمكن إرجاع كل هذه المواد إلى أنواع ثلاثة :

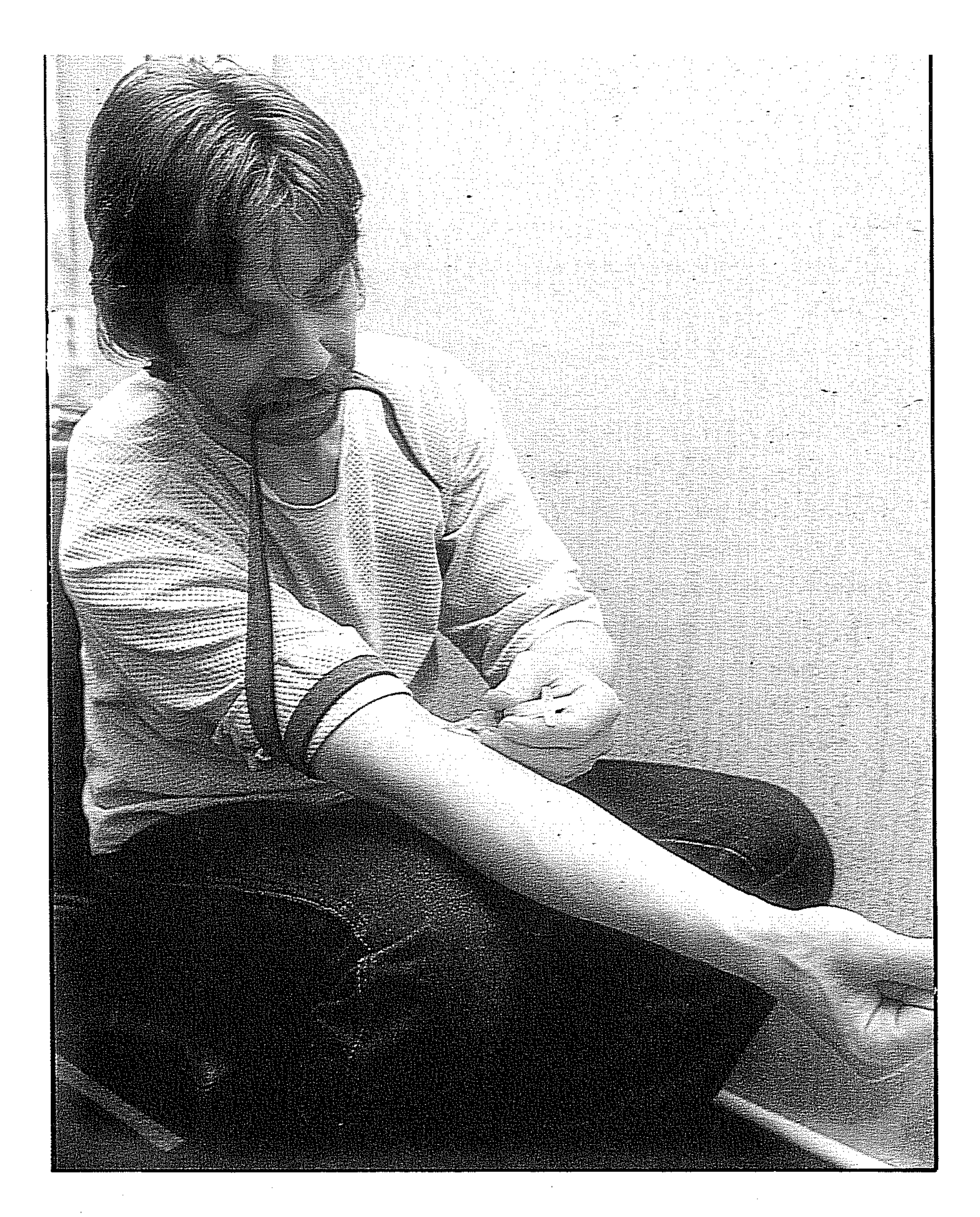
النوع الأول : المخدرات الطبيعية :

وتضم مجموعة هذا النوع جميع النباتات التي يتميز كل أو بعض أعضائها بخاصية التخدير وهي :

١ ـ نبات القنب وهو ثلاث فصائل : القنب الهندي والقنب الشامي وقنب البهانج .

٢ ـ نبات الخشخاش .
٣ ـ نبات الكوكا .
٤ ـ نبات القات .

ويدخل في مجموعة المخدرات الطبيعية ايضا جميع المواد المخدرة التي تستخلص من تلك النباتات دون أن يتناولها تغيير جوهري سواء بالتحويل أو التكرير أو التصنيع .



وهذه المواد هي :

١ ـ الحشيش بمسمياته المختلفة .. ومن أكثر هذه المسميات شيوعا في العالم : (الماريجوانا) بأميركا . (الكاراسى والجانجا) بالهند ، (والكيف) ببلاد شمال إفريقيا وبعض مدن الشرق الأوسط .

٢ ـ الأفيون الخام : وهو العصارة اللزجة التي تنبق من رؤوس شجيرات الخشخاش بعد جرحها .

٣ ـ الكوكايين الخام : أي جميع المتحصلات المستخرجة من أوراق الكوكا والتي يمكن استعمالها بطريق مباشر أو غير مباشر في تحضير الكوكايين .

النوع الثاني : المخدرات الصناعية .

والصناعة في قطاع المخدرات كما عرفتها المعاهدة الوحيدة للمخدرات

سنة ١٩٦١ هي : جميع العمليات ـ باستثناء عملية الانتاج ـ التي يمكن بواسطتها الحصول على المواد المخدرة وتشمل عملية التكرير والتي تحول المخدرات الطبيعية إلى مخدرات صناعية .

والمخدرات الصناعية بذلك تضم مجموعة العقاقير المخدرة التي تصنع من المواد المخدرة الطبيعية بطرق التحويل والتكرير . ومن أكثر هذه المواد شيوعا في مجال الاستعمال غير المشروع : الأفيون الطبى ، المورفين ، الهيرويين ، الكوكايين .

النوع الثالث : المخدرات التخليقية .

وهي مجموعة العقاقير التي لا تدخل المخدرات الطبيعية أو الصناعية في تركيبها ومع ذلك تتميز بخاصية التخدير ويترتب على إساءة استعمالها نفس الأضرار التي تحدثها المواد المخدرة الطبيعية والصناعية ، وقد راجت هذه العقاقير لما لها من تأثير على الحالة النفسية نتيجة تركيبها الكيميائى فهي إما مهدئات ومنومات ، أو منبهات ومنشطات ... وهذه العقاقير وإن اختلفت عن المخدرات في طبيعتها إلا أن تكرار استعمالها يولد عادة الادمان عليها .

ما هي أسباب انتشار المخدرات ؟

يتساءل المرء : هل المخدر لازم للانسان في حياته للترفية عن نفسه كما هو لازم له في علاجه من آلامه وأوجاعه ؟ أليس من حق الانسان أن يهرب ولو لحظات من حساب عقله وضميره وأن ينعم بفترة من الراحة من عناء الفكر وشقاء العمل ؟

إن لكل شعب طريقته في الحياة ، ولكل مجتمع تقاليده وعاداته ، وهي أن الانسان لابد وأن يخرج فترة من واقع حياته ليستريح فيها من عناء التفكير أو ليهرب مؤقتا من حالة يأس تلم به أو فترة تعاسة تمربه . وإذا سلمنا جدلا بهذه الحقيقة ، فمن واجب المجتمع أن يرعاها وأن يوفر لأفراده الوسيلة التي يرفهون بها عن أنفسهم ، أما إن أغمضت الجماعة عينيها ، وتغاضت عن تحقيق هذه الرغبة فقد يختار البعض لأنفسهم أسوأ أنواع المرفهات وأفحشها ضررا ، ويهربون من الواقع وراء ستار كثيف من الدخان الأزرق ، أو في غيبوبة لا يكادون يفيقون منها حتى يعودوا اليها غير عابئين بالمصير المظلم الذي ينتظرهم .

وفي كثير من البحوث التي أجريت عن أسباب انتشار المخدرات في المجتمعات المختلفة نراها تدور حول الاسئلة الآتية :ـ

لماذا تسعى بعض المجتمعات إلى المخدرات بينما تنبذها مجتمعات اخرى ؟!

لماذا يسعى بعض الأفراد إلى المخدرات بينما ينبذها أخرون ؟

هل للأحوال الاقتصادية في البلد علاقة بتعاطى المخدرات فيها ؟

هل لمشكلة المخدرات صلة بالشعور بالعدالة وتكافؤ الفرص ؟

ما صلة التعاطي بالسلوك الاجتماعي ؟

إلى غير ذلك من الأسئلة التي مازالت تبحث عن حلول من خلال البحوث العلمية التي تجرى لهذا الغرض .

وكثير من البحوث انتهت إلى أن الميول الجنسية هي سبب انتشار المخدرات وبحوث انتهت إلى أن المخدرات تنتشر في المجتمعات التى لا توفر العمل لكل عامل ولا تمنح الضمان والطمأنينة لكل مواطن ولا تعترف بالعدالة الاجتماعية والمساواة والفرص المتكافئة ، وأن هذه الأوضاع تحبس الطاقات وتحدد الآمال وتخلق ملايين الضحايا من المطرودين والساقطين والعاطلين ، وهذا الأمر يسهل وقوعهم فريسة للمخدرات حيث يجدون فيها متنفسا لما ينطوون عليه من اخفاق ، وتعبيرا عما يعتمل في نفوسهم من آلام ، وعزاء بالخيال عما فقدوه في الحقيقة والواقع .

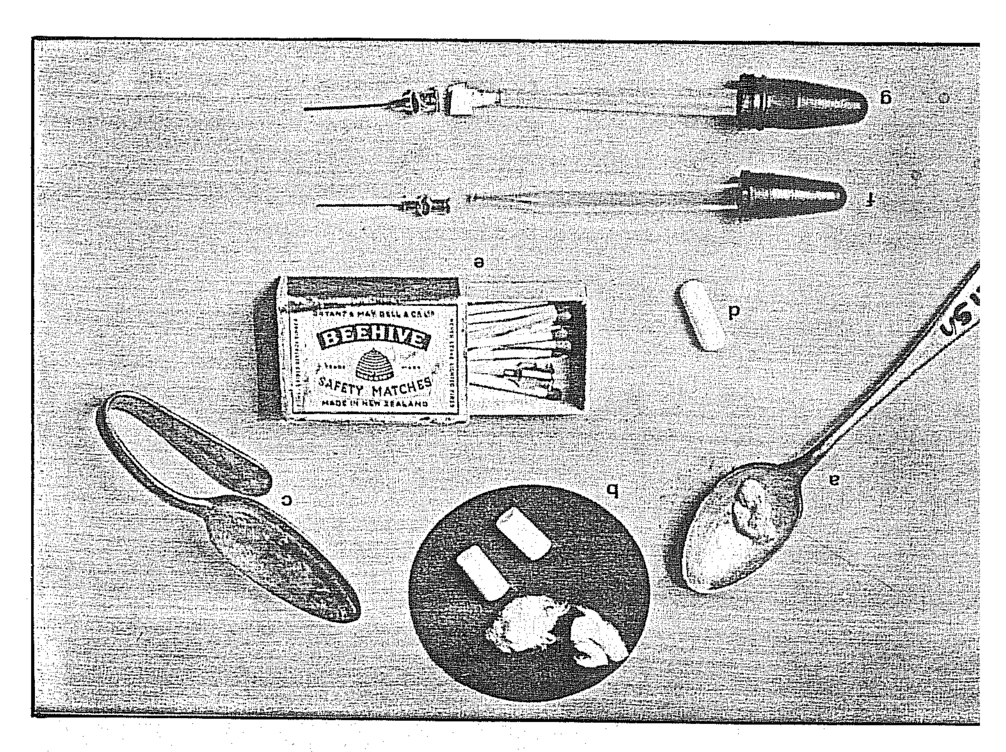
الا اننا لو أمعنا النظر في هذه الاوضاع لوجدناها عامة في جميع المجتمعات . فالميل إلى الجنس **غريزة انسانية** في جميع الشعوب ، ولا يوجد بلد يخلو من البطالة .. وتقارير اللجان الدولية للمخدرات تقطع بان المخدرات منتشرة في كثير من الدول دون تفرقة بين البلاد التي يرتفع فيها مستوى المعيشة والبلاد التي تعاني التخلف والفقر .. وإنما الفرق يظهر في نوع المخدر الذي تفضله الشعوب .

ويبدو أن الشعوب المتخلفة تميل إلى استعمال المخدرات الطبيعية بينما تنتشر المخدرات الصناعية والتخليقية في المجتمعات المتقدمة .

وليس هذا يعني أن المخدرات منتشرة في كل بقعة من العالم ، فبعض البلاد تكاد لا تعرف تعاطي المخدرات رغم توافرها في أراضيها مما يدل على أن العوامل الرئيسية للمشكلة ذات طبيعة اجتماعية تختلف من جماعة الى جماعة .

وليس معنى ذلك انكار أثر العوامل الشخصية في الاقبال على تعاطى المخدرات ولكن المقصود أن العوامل الاجتماعية تفوق في فاعليتها أثر العوامل الشخصية في تكوين المشكلة .

والأرجح أن العامل الأساسي في انتشار المخدرات في أية جماعة إنما يعزى إلى النظم والقيم الاجتماعية السائدة فيها . فالانسان يميل بطبعه الى الشعور بالسعادة ، والشعور بالسعادة الحقيقية مسألة نسبية لا تقاس بالغنى أو العمل أو الصحة . فالواقع والتجربة يؤكدان أن فئات المدمنين لا تخلو من الاغنياء وأصحاب الأعمال ، وان عزت السعادة على الانسان في دنيا الحقيقة سعى اليها في دنيا الخيال ، وان قامت في المجتمع بعض النظم أو القيم الاجتماعية التي تحرم بعض وسائل الترفيه لجأت الجماعة إلى الوسائل الترفيهية الأخرى التي لا تتعارض مع تلك القيم وإن تعارضت مع القانون .



لذلك فإن واجبات المجتمع لا تقتصر على توفير عمل شريف مثمر ومستوى من العيش رغد مرتفع لأفراده ، بل من واجبه أيضا أن ييسر لهم وسائل الترفيه ذات العواقب المأمونة ويشجعهم على استخدامها ،

وبذا يسد الطريق أمام المغريات التي تدفعه أو تشجعه على تعاطى نوع أو آخر من المواد المخدرة .

وهناك واجبات أخرى يمكن حصرها فيما يلي :

١ ـ القضاء على إنتاج وتهريب المواد المخدرة والاتجار فيها قضاء تاما ، وهذه وظيفة السلطات التنفيذية المختلفة .

٢ ـ تحذير المواطنين وأفراد المجتمع من الاقتراب منها عن طريق بحث الأسباب التي تبعدهم عن التكيف مع المجتمع والعمل على إزالتها حتى تقلل من فرص لجوئهم إلى التخدير كوسيلة من وسائل هروبهم من واقع حياتهم .

٣ ـ تنمية الوعي الثقافي لدى المواطنين لتبصيرهم بمضار المخدرات .

٤ ـ استخدام أحدث الطرق الطبية في علاج المدمنين .

المخدرات من الناحية الدولية :

لم تكن مشكلة المخدرات حتى أوائل القرن العشرين تشغل بال العالم ، فقد كان الاعتقاد السائد أن

إساءة استعمال المواد المخدرة راجع إلى العادات المتأصلة في سكان اقطار معينة ، وأن شعوب الأقطار الأخرى محصنة ضد هذا الداء ، ومن ثم اعتبرت مشكلة المخدرات مشكلة داخلية يمكن حلها في النطاق المحلي وبوسائله .. إلا أن الأيام أثبتت فساد هذا الاعتقاد ، فإن الحروب ، واختلاط الشعوب

وتعقد أسباب الحياة خصوصا في الدول المتقدمة ، كان من أثرها أن انتقلت عدوى تعاطي المخدرات إلى الكثير من البلاد ، وما لبث داء الادمان عليها أن انتشر حتى عم معظم دول العالم .

وهكذا تغيرت النظرة نحو مشكلة المخدرات ، فبعد أن كانت مشكلة محلية لا تهم إلا أقطارا معينة أصبحت مشكلة ذات أهمية عالمية . وما كان في الأصل خطرا مقصورا على بعض الأجناس من البشر اعتبر تهديدا متزايدا وخطرا داهما يهدد الصحة العالمية ، لذا اتجه التفكير إلى ضرورة القيام بعمل دولي مشترك تسهم فيه جميع دول العالم لوقف انتشار هذا الداء ومحاولة القضاء عليه لانقاذ البشرية من ويلاته .

وكانت أولى الخطوات التي خطتها الدول في ميدان العمل الجماعي لمكافحة المخدرات ذلك المؤتمر الذي دعت إليه حكومة الولايات المتحدة الأميركية سنة ١٩٠٩عندما بدأ انتشار المخدرات على أراضيها ، وبناء على هذه الدعوة اجتمع في شنغهاي مندوبون عن ثلاث عشرة دولة في هيئة مؤتمر انتهى بأن تعهدت الدول الأعضاء باتخاذ الاجراءات اللازمة لوقف انتشار الأفيون في ممتلكاتها بمنطقة الشرق الأقصى وخاصة الصين .

وأعقب هذا المؤتمر مؤتمرات عديدة لبحث مشكلة المخدرات وعقدت بين الدول معاهدات واتفاقات متعددة لتنظيم شؤون الرقابة على انتاج وتجارة المواد المخدرة .

أسلوب البحث العلمي لمعالجة مشكلة الادمان :

بدأت الأمم المتحدة تهتم بالبحث العلمي في علاجها لمشكلة المخدرات بالقرارات التي اتخذها المجلس الاقتصادي والاجتماعي في شأن وضع برنامج خاص لتنمية طرق تحديد المصدر الجغرافي للأفيون بوسائل كيماوية لالقاء المزيد من الضوء على المسالك التي يتبعها الاتجار غير المشروع ، ودعا المجلس الاقتصادي حكومات الدول الى تشجيع علمائها على الاسهام في هذا البحث .

كما طلب منها أن ترسل للأمانة العامة (مركز توزيع الأفيون) عينات الأفيون التي تنتج بأراضيها وما يضبط منه في الاتجار غير المشروع .

وقد وصل البحث العلمي في موضوع تحديد المصدر الجغرافي للأفيون إلى الحد الذي يمكن معه القول بأنه قد امكنه التوصل إلى طريقة مؤكدة لاثبات مصدر الأفيون من طريق ما يجري عليه من تحاليل .

وتجرى منظمة الزراعة والأغذية التابعة للأمم المتحدة بحوثا وتجارب متعددة لمحاولة ايجاد نوع من نبات القنب خال من الراتنج الضار (الحشيش) أو الاستعاضة عن هذا النبات بأنواع أخرى تصلح للأغراض الصناعية لانتاج الألياف دون أن تحتوي على الراتنج المخدر .

علاج الادمان :

يرى بعض خبراء المخدرات أن جميع المواد المخدرة دون استثناء تؤدي إلى الادمان بل هم يرون أن إحداث هذا الداء يعتبر شرطا أساسيا لاعتبار المادة التي تسببه مخدرا . وإنه إذا لم يترتب على تكرار تعاطيها الادمان عليها فلا تعامل معاملة المواد المخدرة حتى ولو توافر فيها الاضرار بالصحة والذهاب بالعقل .

ويرى البعض الآخر أن المخدرات لا تسبب بالضرورة داء الادمان ، بل قد تحدث حالة أقل خطورة وهي التعود على تعاطيها .
ويميزون بين الادمان والتعود بأن الادمان يتميز بالخصائص التالية :

١ ـ الرغبة أو الحاجة الغلابة لاستمرار تعاطي المخدر .
٢ ـ الاتجاه إلى تزايد الجرعات .
٣ ـ التعويل النفسي والجسماني عادة على تأثير العقار .

أما علاج الادمان فيميل الاتجاه الحديث في معظم دول العالم إلى اعتبار مدمن المخدرات مريضا في حاجة إلى العلاج الطبي بدلا من اعتباره مجرما يستحق العقاب وقد انتهى الأمر في كثير من الدول إلى تعديل تشريعاتها بحيث تقضى بإرسال مدمني المخدرات إلى المصحات لعلاجهم .

وترى بعض الدول أن الحل الوحيد الممكن هو إيداعهم اجباريا في مؤسسات مغلقة متخصصة في هذا النوع من العلاج ، ويرى آخرون انه لا يتحتم اتباع العلاج في المؤسسات في كل الحالات . وأن يكون هناك مجال للعلاج في البيت أو في عيادة الطبيب أو العيادات الخارجية بالمستشفيات وذلك للحالات التي يتم اختيارها بعناية .

والمتخصصون في علاج مدمني المخدرات الذين يوصون في ايداعهم في مؤسسات متخصصة يرون أن تطول فترة علاجهم لمدة سنتين أو ثلاث لمنع الانتكاس .

هذه دراسة سريعة عن المخدرات لابد قبل ختامها من القول بأن هذا الخطر الداهم على مجتمعاتنا العربية ثبت أن وراء ترويجه وتهريبه إلى هذه المنطقة عصابات خطيرة لتهدم معنويات أمتنا وتقف حجر عثرة في سبيل تقدمنا ودعم مركزنا الاقتصادي العالمي ..

ولكن مما يخفف من غلواء هذا الخطر عمليات المكافحة الدولية والاقليمية والمحلية المنتظمة التي تتولاها منظمة الشرطة الجنائية الدولية (الأنتربول) والمنظمة العربية للدفاع الاجتماعي ضد الجريمة .



للدكتور/ حسن عبدالغني أبو غدة

تعريف الأحداث :

الأحداث .. جمع حدث ، وهو الفتى والغلام . ويقصد به في الفقه الاسلامي المراهق اذا كان دون سن البلوغ ، ذكرا كان أو أنثى . ويعرف البلوغ بعلامات منها : الاحتلام ، ونبات شعر الابط والعانة ، والحيض والحمل وبلوغ خمس عشرة سنة ، وغير ذلك مما يرجع اليه في مواضعه من كتب الفقه .

مؤاخذة الأحداث وحكمتها :

لا شك ان الحدث ليس اهلا للعقوبة أصلا في الشريعة الاسلامية ، وذلك لأنه غير مكلف دينيا . ويؤيد هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أبو داود : « رفع القلم عن ثلاثة .. وعن الصبي حتى يحتلم » .

لكن الصغر لا يمنع المؤاخذة والتأديب ، حملا للحدث على مكارم الأخلاق ، وتعويدا له على تحمل المسؤولية ، وتدريبا له على حفظ الحقوق والقيام بأدائها . وهذا ما قررته الشريعة الاسلامية قبل أن يقرره رجال القانون في المؤتمرات الدولية المعاصرة وغيرها ، فقد ذهبوا الى أن أحكام الحبس وغيرها الصادرة على الأحداث لا ينبغي أن تأخذ الصفة العقابية بل الصفة التأديبية .

تأديب الأحداث بالتوبيخ والضرب ونحوه :

الأصل في معاملة الحدث اللين والرحمة ، فلا ينبغي للمربي الناجح أن يلجأ الى العقوبة والشدة الا عند الضرورة ، واذا استعملها كان عليه أن

يتدرج فيها من الأخف الى الأشد . وان أول درجات تأديب الأحداث تنبيههم على أخطائهم بالاشارة ، ثم بالتوبيخ ثم بالهجر والتعنيف ، ثم بتقليل مخصصاتهم المالية ، ثم التهديد بالضرب ، ثم مباشرة الضرب أو الحبس في البيت والمنع من الخروج الى اللعب مع الأصدقاء .. وقد ذكر الفقهاء : ان من كان دون عشر سنين يزجر عن المفاسد والمنكرات والقبائح بالكلام والتنويه والارشاد فاذا تمت له عشر سنين أدب وضرب . ويستند هذا الى ما أخرجه أبو داود والترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم عليها وهم أبناء عشر .. » .. وروى ابن السني عن عبدالله بن بسر المازني قال : «بعثتني أمي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطف من عنب ، فأكلت منه قبل أن أبلغه اياه ، فلما جئت أخذ بأذني وقال : يا غدر » .

هذا ، وقد ضرب عمر رضي الله عنه صبيا تأديبا له . وسئل أصبغ من كبار فقهاء المالكية : أيؤدب الصبيان في تعديهم وشتمهم وقذفهم وجراحاتهم العمد وقتلهم ؟ قال : نعم يؤدبون اذا عقلوا أو راهقوا . وذكر ابن مفلح من الحنابلة : أنه اذا زنى ابن عشر أو بنت تسع عزّرا . وهكذا يتضح أن تأديب الأحداث بالوعيد والتهديد والتعنيف والضرب ونحوه أمر مشروع .. على أنه لا بد من القول بأن للضرب مواصفات شرعية ينبغي مراعاتها من مثل كون أداة الضرب غير جارحة ولا حادة ، كما أنه ينبغي تفريق الضرب على أماكن الجسم التي لا تتضرر به كالقدمين والفخذين والالية والظهر واليدين ، ويجب اجتناب ضرب الرأس والوجه والعنق والصدر والبطن وما تحتها ، لما في ذلك من المخاطر المتلفة القاتلة أحيانا .. وليتجنب الضارب الغضب وقت الضرب ، كما يتجنب الاكثار من عدد الضربات لأنها تفقد قيمتها في المستقبل .

تأديب الأحداث بالحبس :

مع اتفاق الفقهاء على مشروعية تأديب الأحداث بفرك الأذن والتهديد والتعنيف والضرب ونحوه ، فانهم مختلفون في جواز تأديبهم بالحبس بل انهم يفرقون أيضا بين حبسهم بالحقوق المالية (المدنية) وبين حبسهم بالحقوق الجنائية (الجزائية) واليك بيان ذلك :

أولا : حبس الأحداث في القضايا المدنية

مذهب المالكية والشافعية وأحد قولي الحنفية : أن الحدث غير البالغ اذا مارس التجارة أو استهلك مال غيره ، فلا يحبس بالديون المترتبة عليه في معاملاته ؛ وذلك لأنه غير مكلف وليس محلا للعقوبة الشديدة ومنها الحبس ،

لكن هذا لا يمنع من تأديبه بغير الحبس كما تقدم .. واتجه السرخسي من كبار فقهاء الحنفية : الى أن الذي يحبس بديون الحدث هو وليه لأنه قصر في حفظ ولده ورعايته وتوجيهه ، ولأنه هو المخاطب بأداء المال عنه شرعا .

والقول الآخر للحنفية : أن الحدث غير البالغ يحبس بالدين ونحوه من الحقوق المالية ، تأديبا لا عقوبة ، لأنه مؤاخذ بحقوق العباد فيتحقق منه الظلم لهم ، ولئلا يعود الى مثل الفعل ؛ ويتعدى على أموال الناس وممتلكاتهم وحقوقهم . لكن بعض هؤلاء علقوا حبسه على وجود أب أو وصي له ليضجر أو يعيّر من حبس ابنه فيسارع الى قضاء الدين عنه .

ثانيا : حبس الأحداث في القضايا الجزائية :

نص بعض الفقهاء على أن الحدث غير البالغ لا يحبس بارتكابه الجرائم والقبائح ونحوها . لكن هذا لا يمنع من تأديبه بغير الحبس ، كما تقدم بيانه .

وعمم جماعة فقالوا : ان الصغر لا يمنع من التأديب ، فيجري بين الصبيان والأحداث ويعزرون ويؤدبون ولا اثم عليهم فيما أصابوا . ويفهم من كلامهم هذا : أنهم يحبسون ايضا ؛ لأن التعزير والتأديب يشمل الحبس كما هو معروف عند الفقهاء .

وقال آخرون من الفقهاء بجواز حبس الحدث الفاجر على وجه التأديب لا العقوبة ! وبخاصة اذا كان الحبس أصلح له من ارساله ، وكان فيه تأديبه واستصلاحه وتقويمه .

ومن الجرائم التي نصوا على حبس الأحداث فيها : الردة والبغي . فاذا ارتد الصبي المراهق اعتبرت ردته وحبس حتى يتوب ، وهذا قول أبي حنيفة ومحمد . وكذا صبيان البغاة المقاتلون يحبسون حتى تنقضي الحرب ويتفرق جمعهم .

وانني أرى حبس الأحداث حين تعيّنه ، سواء كانت الدعاوى مدنية أو جزائية ، لأن الأوضاع الاجتماعية والأسرية المعاصرة تعجز ـ في كثير من الأحيان ـ عن رعاية الحدث واستصلاحه ، ولا شك ان الحكم بحبس الحدث يرجحه تقدير القاضي ودراسته لظروف الحدث النفسية والتربوية والاجتماعية .. وقد أخذ كثير من الدول والقوانين بمبدأ حبس الأحداث في القضايا الجزائية ، اذا بلغوا سنا محددة واقتضت ظروفهم ذلك .

مكان تنفيذ حبس الأحداث :

ان سماح الشريعة بحبس الأحداث يستلزم وجود أماكن لتنفيذ ذلك ، وباستقراء النصوص الخاصة بهذا الأمر وجد أنها لا تعدو بيوت الآباء أو سجونا خاصة بالأحداث .

أولا : حبس الأحداث في بيوت آبائهم :

ذكر الفقهاء ان المرتدة الصغيرة ونحوها تحبس عند وليها حتى تتوب .
وقالوا في الحدث عامة : اذا خشي عليه ما يفسده ، توجب حبسه عند أبيه لا في السجن
وروي عن سحنون قاضي القيروان المالكي : انه أخذ غلمانا مردا بطالين يفسدون بالدراهم ، فوضع في أرجلهم القيد ثم حبسهم عند آبائهم مقيدين .
وهذا الأسلوب من الحبس يشبه نظام الاقامة الجبرية ويقصد به منع الحدث من التردد على أماكن الفساد والجريمة والاختلاط بالمفسدين بالاضافة الى حمايته من الانحراف ، وذلك بفرض الرعاية المباشرة عليه من وليه والزامه بها ، وتشديد الرقابة عليه ، ليهتم بسلوكه وينظر الى نفسه ضمن بيئة اجتماعية صالحة .

ويبدو أن الفقهاء المسلمين يفضلون حبس الحدث عند وليه على حبسه في أماكن اخرى أو عند الدولة ، لاحتمال تعرضه للاستغلال والعدوان والاهمال ، وتلك مصاعب لا طاقة للحدث على تحملها ، وقد تؤثّر في تكوين شخصيته فتصيبها بالاضطرابات والسلبية ، فضلا عن ان الحدث أكثر استعدادا للتأثر وقبول الاصلاح خارج السجن .

وقد أجاز كثير من القوانين للقاضي ان يحكم بتسليم الحدث إلى والديه أو شخص موثوق فيه ، وأن يحكم بوضع الطفل تحت نظام الحرية المحروسة ، وتلك مبادىء انسانية كريمة سبق الفقهاء إلى تقريرها منذ زمن طويل .

ثانيا : اتخاذ سجن خاص للأحداث : تقدم أن الردع والعقوبة من الغايات الشرعية المقصودة من حبس الكبار ، وان التأديب المحض هو الغاية الشرعية من حبس الأحداث ، وهذا المبدأ يدعونا إلى القول بأن الشريعة ترى عزل من يراد تأديبه عمن يراد تعزيره ومعاقبته .

وبالرغم من عدم وقوفي على نص يدل على اتخاذ الحكومات الاسلامية مكانا خاصا لحبس الاحداث ، فإن في كلام الفقهاء ما يشعر بوجود ذلك ، فقد ذكروا : انه إذا خشي على الحدث ما يفسده لم يحبس في السجن ، وإنما عند ابيه . ويبدو أنهم قصدوا بذلك حمايته من الأضرار الجسمية والنفسية وغيرها . ويؤيد هذا ما روي من : انه كان من غير المسموح به عند المسلمين حبس الصغار مع الكبار ، منعا لما قد يتعرض له الصغار من فساد .

على أن إفراد الأحداث بحبس مستقل عن حبس الكبار توجبه الأمور التالية :

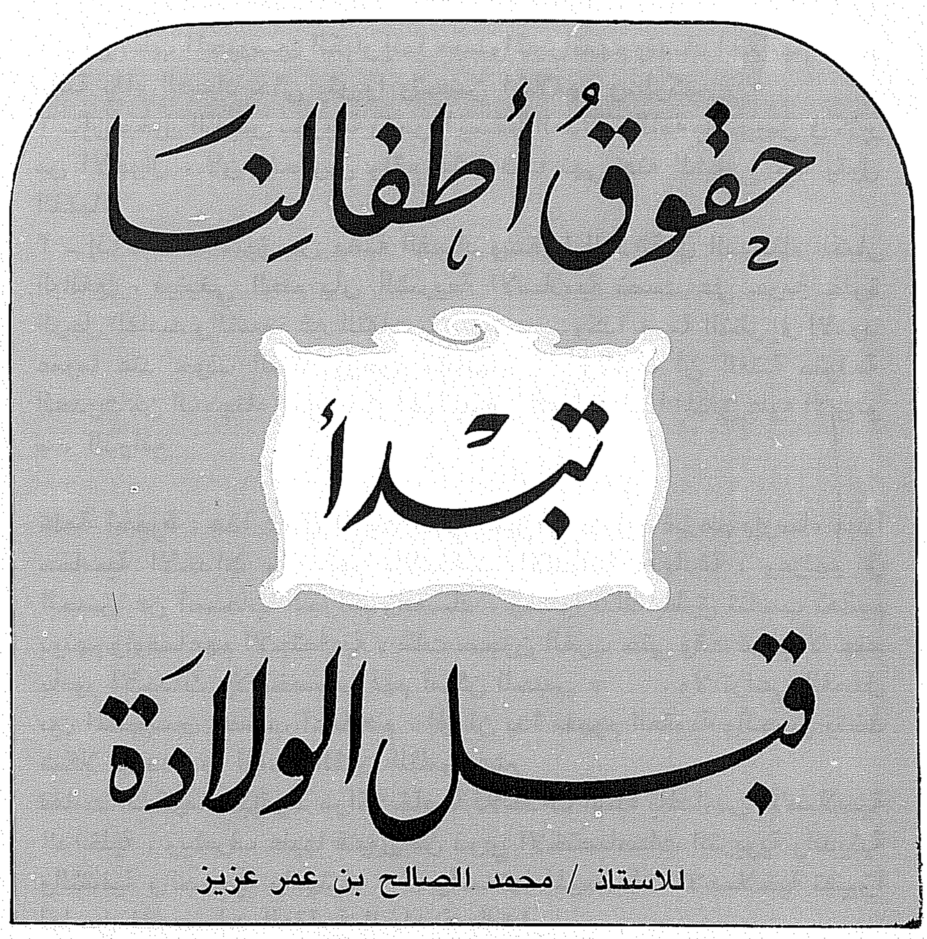
١ ـ إن أغلب المحبوسين الكبار إنما حبسوا لجرائمهم وفساد اخلاقهم ، فهم مظنة بقاء الفساد حتى يتوبوا وتحسن اخلاقهم وسلوكهم .
٢ ـ إن دخول الحبس بجريمة ونحوها يسقط العدالة والثقة بالمحبوس في كثير من الأحوال ، لأن المحبوس واقع غالبا فيما نهى عنه الشارع كما يقول الفقهاء .
٣ ـ إذا ثبت ما سبق من مظنة الفساد وسقوط العدالة في السجناء الكبار البالغين ، فينبغي العلم بأن الشريعة الاسلامية نصت على حرمة خلوة الرجل الفاسد والنسوة غير الثقات بالأمرد . وكذا حرمة النظر إلى الأمرد عموما عند خوف الفتنة ووجود مظانها . ولاشك أن الفتنة متوقعة الحدوث من السجناء الفاسدين ؛ لذا ينبغي العمل بالمبدأ المتفق عليه ألا وهو سد الذرائع .

كلمة أخيرة : هذا ؛ وفي الوقت الذي سبق المسلمون غيرهم بإرساء مبدأ محاسبة الأحداث وتأديبهم بالأساليب الانسانية الهادفة ، وعزلهم في الحبس عن أصحاب الجرائم والفساد ، وعملوا لذلك بطرق تناسب تعاليم دينهم وأوضاعهم الاجتماعية « ظلت سجون الغرب حتى وقت قريب لا تهتم بأمور الأحداث ولا تخصص لهم أماكن للحبس » . ولا تراعي الفصل بين المحبوسين بحسب أعمارهم ، إلى أن بدأ مفهوم العقوبة والحبس يتخذ شكلا محددا في أواخر القرن الثامن عشر .
فقامت الحكومات بإفراد مراكز خاصة للأحداث أشبه بالمدارس الاصلاحية الداخلية ، ويشرف عليها فنيون من ذوي الاختصاصات التربوية والدينية والثقافية والصحية والمهنية . وأسمتها المؤسسات الاصلاحية تمييزا لها عن المؤسسات العقابية الخاصة بالكبار .

أما تحديد سن الحدث فيختلف من دولة إلى اخرى ، وفي الكويت تفرد الحكومة مكانا خاصا لمن لم يتموا سن ١٤ عاما وتسمية (دار الرعاية الاجتماعية) تمييزا لها عن « دار التقويم الاجتماعي » التي خصصت لمن هم بين سن ١٤ ـ ١٨ عاما .

وقد ألحقت الداران بوزارة الشئون الاجتماعية والعمل ، بخلاف سجن الكبار التابع لوزارة الداخلية .

هذا ، وإن الشريعة الاسلامية لا تمنع الأخذ بنحو هذه الاجراءات ، إذا كان فيها تحقيق الغاية المنشودة من حبس الأحداث وتأديبهم ، مع مراعاة ان الشريعة تعتبر البالغ مؤاخذا وموضعا للمساءلة والجزاء على وجه العقوبة لا التأديب المحض كما في الحدث .



اعتدنا عند التعرض لحقوق الطفل أن نتحدث عن فترة ما بعد الولادة ، في حين أن هذه الحقوق تبدأ ما قبل الزواج ..

من الحقوق الثابتة للطفل أن يتوفر له المحضن السليم حيث سينشأ على التربية السليمة ويحاط بجو من الهدوء والاستقرار كشرط أساسي لنموه الطبيعي القويم .. لذلك نرى الاسلام يحرص في مرتبة أولى لضمان هذا الحق الضروري للطفل على اختيار أرضية صالحة يترعرع فيها هذا الكائن الجديد ، فيتوجه رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم الى كل شاب مقبل على الزواج ينصحه بتخيّر الزوجة الصالحة حاضنة أكباده ومربية قرة عينه فيجعل الدين والخلق الحسن قاعدة الاختيار الأولى ، ويجعله أساس بناء الأسرة المسلمة لضمان أرضية طيبة للابناء .

فيقول « إذا جاءكم من ترضون دينه وأمانته وخلقه فزوجوه ، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير » رواه ابن ماجة .

ونعني بالزوجة المسلمة الصالحة ، تلك التي لا تبخل بالتضحية بالغالي

والنفيس لجلب السعادة والاستقرار إلى البيت ، والتي ترى أن مهمتها في بيتها وهي تعكف على طفلها الصغير تربيه ، وتهبه المشاعر الانسانية ، لترفعه من مرحلة الحيوان الى مرحلة البشرية كيانا بشريا متوازن العقل والعواطف والمدارك ، لا تقل أهمية - إن لم تكن أعظم - من خروجها إلى العمل تهدر طاقة حيوية مرصودة لغرض معين ، وتحولها عن سبيلها الأصيل ... ونعني بالزوج المسلم الصالح ، الذي يحترم سنن الحياة الزوجية ، ويدرك أن الهدف من الزواج هو إنشاء البيت المسلم لانجاب ذرية صالحة تضطلع بحمل الأمانة ،

وتحقق الهداية واستمرارها ، فلا يدخر جهدا - أي الزوج - في جلب السعادة والطمأنينة إلى بيته ، ويسهر على حماية أطفاله وزوجته من غوائل الفقر والجهل والأمية الدينية « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » متفق عليه « كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت » رواه أبو داود وابن حنبل .

من الحقوق الثابتة للطفل أيضا ، حقه في أن يولد سويا غير مشوه أو مضطرب المزاج مختل المدارك ، وهذا ليس تحديا لقضاء الله سبحانه كما يفهم بعض الناس ، ولكنه هروب من قضاء الله إلى قضاء الله كما قال الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما رجع بجيشه خوفا من الاصابة بالطاعون ، وقد أجمع الفقهاء على منع الحمل بين الزوجين منعا باتا إذا كان بهما أو بأحدهما داء عضال من شأنه أن يتعدى إلى النسل والذرية ، وفي حالة امتناع الزوجين عن قبول عملية منع الحمل يكون لولي الأمر الحق في التفريق بينهما جريا على قاعدة أن على ولي الأمر سد أبواب الضرر الذي يصيب الأطفال « الاسلام عقيدة وشريعة » إن هذا يعني العناية التامة بصحة الأم الحامل ، وتجنب كل الأخطار التي تعرض جنينها للاصابة بأي نوع من العيوب والتشويهات الخلقية ، أو تعرض حياته للدمار وأجهزته الجسمية لفقدان قدرتها على أداء وظيفتها أحسن الأداء . فمما لاشك فيه أن العلاقة بين الأم الحامل والجنين علاقة حساسة جدا ، تجعل أي اختلال في صحة الأم أو اضطراب في حالتها النفسية يؤثر على حالته - أي الجنين - ، ويسهم تماما في تشكيل وضعه الصحي وفي مستقبله .

أ - تأثير الأزمات الانفعالية :

لقد بات من المؤكد أن الازمات الانفعالية التي تتعرض لها الأم من هموم وأحزان وأضطرابات عصبية لايمكن أن تمر في حياة الأم بدون أن تحدث آثارها السيئة على الجنين ، وتظهر هذه الآثار مباشرة بعد الولادة في شكل نقائص ولادية ، أو تشوهات خلقية تنغص عليه - أي الجنين - حياته .. فقد « لاحظ العالم سونتاج أن الأجنة الأكثر فاعلية ميالة إلى أن تولد بوزن منخفض بالنسبة لطولها ، مما هو الحال بالنسبة للأجنة الذين هم أقل فاعلية في حياتهم الجنينية . يضاف الى ما تقدم أن الأجنة ذات الفاعلية الأكثر تعاني من اضطرابات

حشوية ومشكلات تغذية فيما بعد الولادة أكثر من الأطفال الأقل فاعلية .. ويظهر الرضيع في عهد ولادته عدم استقرار متزايد ، وأنزعاجا ، وصراخا مفرطا ، وتهيجا ، ويتقيأ بصورة ملحوظة وبصورة متكررة ، ويصاب بالاسهال الشديد ، كما أنه على العموم ينام أقل من بقية الرضع الآخرين ، ويظهر حساسية زائدة للأصوات ، ويبدأ ذلك بكل عنف ، وغالبا ما يبكي أو يصرخ بصوت عال .. وقد وجد العلماء أن (٣٠) أمرأة ممن ولدن أطفالا غير ناضجين قبل انتهاء فترة الحمل الكاملة كنَّ أقل نضجا من الناحية الانفعالية ، وكن يحملن نظرة سلبية نحو الحمل ، وأنهن أقل قدرة على حل مشكلاتهن العائلية والاجتماعية مما هو الحال مع جماعة أخرى ضابطة من النساء توازيها في العمر ، والعرق ، والطبقة الاجتماعية ، وفي التربية التي كانت أقل تعرضا للاضطرابات الانفعالية في حياتهن » . ولعل من أخطر مظاهر الأزمات الانفعالية التي تتعرض لها الأم الحامل والتي يكون لها أخطر الانعكاسات على الجنين في بطنها :

الغضب : وهو صورة من صور الانفعال النفسي ، يؤثر على القلب تأثيرا كبيرا إذ « يزيد من عدد مرات الانقباضات أو النبضات القلبية في الدقيقة الواحدة ، وبذلك تتضاعف كمية الدم التي يدفعها القلب أو التي تخرج منه إلى الأوعية الدموية والشرايين مع كل انقباضة أو نبضة ، وهذا يؤدي طبعا الى اجهاد القلب ، لأنه سوف يدفعه لزيادة العمل زيادة عن المعدل الذي كان من المفروض أن يؤديه بصفة عادية وفي ظروف معينة » ، فيحدث نتيجة لذلك ما لا تحمد عقباه .

العصبية والتوتر : وهو مظهر لا يقل خطرا عن الغضب لما يسببه من آلام نفسية شديدة للأم الحامل يجعلها تثور لأقل الأسباب ، فتفقد السلام الدائم مع نفسها وأولادها والآخرين ، كما يكون لذلك أخطر الأثر على حياة الجنين وعلى مستقبله . ولعل من أخطر ما تسببه العصبية والتوتر على المرأة الحامل الأرق الذي يؤدي الى حرمانها من النوم الهادىء ، فتلجأ الى الحبوب المهدئة والمنومة ، فتتسبب في مشاكل هي في غنى عنها .

لكل ذلك وجب حماية المرأة الحامل من خطورة هذه الأزمات الانفعالية ، وذلك بمعالجة أسبابها الأولى ، فقد تبين أن الخلافات العائلية تأتي في مقدمة هذه الأسباب - وبخاصة عند النساء العاملات خارج البيت - لذلك ينصح الأطباء ربة الأسرة بأن تعمل أولا على نشر الاستقرار العائلي ، وذلك بالتقليل من المناقشات والخلافات الزوجية ،

ونشر الهدوء والسعادة في أرجاء البيت ، وأن تبتعد قدر الأمكان عن صراخ الأطفال وضجيجهم ، ولا تلجأ إلى العنف والصوت المرتفع ، وتعود نفسها على ضبط أعصابها في كل المواقف ، وأن تتأكد أن لكل مشكلة - مهما كبرت - حلا تستطيع الوصول

إليه بنفسها لو ضبطت أعصابها وفكرت بهدوء .. فبإمكانها أن تلجأ إلى تلاوة القرآن ، فإن تلاوته تضفي على القلب سكينة وهدوءا وراحة للاعصاب كبيرة ، أو تجلس وحيدة تسلي نفسها بقراءة كتاب أو اداء أي عمل يشغلها ، وأن تتوضأ كلما أحست بالغضب كما أمرنا بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وكذلك ينصح الأطباء الزوج بأن يساعد زوجته على أجتياز هذه المرحلة الصعبة ، حيث تكون الزوجة في حالة نفسية غير طبيعية تحت تأثير عامل الوحم .. جاء في كتاب « خلق الانسان بين الطب والقرآن » ما يلي : « تحتاج الحامل الى عناية كبيرة من المحيطين بها في هذه الفترة بالذات ، اذ تكون اكثر حساسية من أي فترة مضت ، سريعة التأثر والانفعال والميل الى الهموم والأحزان لأتفه الأسباب ، وذلك بسبب التغير الفسيولوجي في كل أجزاء الجسم ، لذلك يجب أن تحاط بجو من الحنان ، والبعد عن الأسباب التي تؤدي إلى تأثرها وانفعالها ، وخاصة من ناحية الزوج أو الذين يعيشون ويتعاملون معها » .

وقد وضعت الشريعة الاسلامية الأسس السليمة لاستقرار الجو العائلي وخلوه من الانفعالات والأزمات والخصام ليتوفر للأبناء الجو الملائم للتربية الصالحة ويتضح ذلك في الآية الكريمة : **(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)** الروم / الآية ٢١ .

ب ـ تأثير الحالة الصحية للأم الحامل على الجنين : إذا كان للانفعالات النفسية هذا القدر من التأثير على صحة الحامل وبالتالي على الجنين ، فلاشك أن العوامل الصحية لها هي الأخرى تأثير مباشر في تحديد مستقبل المولود سلبا أو إيجابا « فالحصبة الألمانية على سبيل المثال عندما تصيب الأم الحامل خلال الشهور الثلاثة الأولى من الحمل لها أثر خطير على تلك الأجزاء من أجهزة الجسم وأعضائه في الجنين ، التي تمر بمرحلة حرجة في تطورها ونمائها كالعينين والأذنين وسائر الحواس الأخرى كما هو الأمر مع القلب ... وقد وجد العلماء أن من أنواع الشذوذ الرئيسية التي يصاب بها الوليد (نتيجة إصابة الأم بالحصبة الألمانية) هي الصمم بنسبة ٥٠٪ والعيوب البصرية بنسبة ٣٠٪ » . لذلك وحتى نجنب أطفالنا الولادة المشوهة أو التخلف العقلي ، لابد أن تكون العناية الطبية بالمرأة الحامل كبيرة جدا ، وأن نسهر على سلامتها الصحية قدر الامكان . وأول ما يجب التنبيه إليه :

١ ـ اجتناب تناول الأدوية والعقاقير والحبوب المهدئة بدون استشارة الطبيب ، لأن الدواء قد يحتوي على مواد تضر بالجنين ، وتؤثر على نموه ، وتحدث عاهات في تكوينه خصوصا في الأشهر الثلاثة الأولى « واحدى هذه النتائج المأساوية تلك التشويهات المرتبطة بالمركب المنوم الذي ذاعت شهرة آثاره الضارة وهو « الثاليدومايد

فالجنين الذي يولد بسببه يولد بذراعين ويدين صغيرتين جدا مشوهتين ولا نفع منهما ، كما يحدث هذا العقار تشويهات أخرى في الجنين إن تناولته الأم في وقت مبكر أثناء حملها » وقد سحب العقار من السوق وقامت الشركة بتعويض جميع أهالي الأطفال الذين لحقهم التشويه بسببه ، وكثيرا ما تنشر الصحف والمجلات حالات من الولادات المشوهة ـ بسبب الأدوية ـ تقشعر لها الأبدان فقد نشرت جريدة « عكاظ » (في ١/١/١٩٧٩)أن سيدة من الفلبين أنجبت طفلا له رأسان أحدهما أكبر من الآخر وقسمات وجهيهما مختلفة تماما ، ونشرت جريدة « الشرق الأوسط » صورة لمولود في ليونان برأسين وأربعة أعضاء تناسلية ، ونشرت جريدة « المدينة » خبر طفلة هندية لها رأسان ، وثلاثة أذرع وجهازان عصبيان ولكن لها قلب واحد .

٢ ـ اجتناب التصوير بالأشعة « فقد يحدث أن تمرض الحامل مرضاً يرتئي معه الطبيب إجراء تصوير بالأشعة ، فعليها في هذه الحالة أن تذكر له أنها حامل ، لأنه يعلم أن الأشعة ـ أشعة س ـ × ـ تضر بالجنين وربما تؤدي الى تشويه خلقته » .

٣ ـ الحماية من الأمراض المعدية ، فلا تزور ـ أي الحامل ـ رفيقة مريضة ، أو بيتا تعلم أن فيه مريضا ، لأن اصابتها بالأمراض المعدية ـ وبخاصة في الأشهر الأولى من الحمل ـ قد تؤدي الى تشويه جنينها ، ومن أهم هذه الأمراض الحصبة الألمانية التي قد ينشأ عنها أن يولد الطفل أعمى أو أصم كما ذكرنا سابقا .

٤ ـ العناية بغذاء الحامل : فقد تبين أن الجنين يستمد كل ما يحتاج اليه من أغذية ، كالأحماض الأمينية والجلوكوز والفيتامينات ، والأملاح ـ كالحديد والكالسيوم والفسفور وغيرها ـ يستمدها كلها من الأم تنقلها إليه عبر المشيمة وأن هذه الطلبات تلبى بصفة إلزامية حتى وإن كان هناك نقص في كل أو بعض هذه المواد الحيوية عند الأم ـ لذلك وحتى تستطيع الأم الحامل أن تلبي حاجات جنينها من الغذاء الكامل اللازم لنموه نموا طبيعيا سليما ، كان لابد لها ان تتناول هي ايضا غذاء كاملا متوازنا .. وقد ثبت أن الاطعمة التي تحتاجها الأم الحامل هي كالآتي :

* الحليب : ويجب تناول ما لا يقل عن (٣ ـ ٤) اكواب يوميا ويمكن تعويضه باللبن والجبن .
* اللحوم : وتتناول منها ١٠٠ غرام يوميا ، ويفضل تناول الكبد مرة كل اسبوع .

* البيض : وتتناول واحدة على الأقل يوميا .
* الفواكه : بأنواعها أو العصير الطازج ، وتؤخذ مرتين يوميا .
* الخضر : وتشمل جميع الأنواع من البقول الخضراء أو الصفراء والبطاطا بمقدار ربع كيلو .

* الخبز والحبوب بكميات معتدلة .
* الزبدة بمقدار ملعقتين يوميا .
وبالمحافظة على هذه الوجبة المتكاملة يمكن للأم الحامل أن تتجنب الاصابة بلين العظام وبالتهابات الأسنان المتكررة أثناء الحمل وبعده ، عندما يكون الجنين في حاجة الى الكالسيوم والمواد الضرورية لبناء عظامه ،

فيسحب ذلك من دم أمه ، ويمكنها أن تتجنب الاصابة بفقر الدم عندما يكون الجنين في حاجة الى الحديد والعناصر الهامة لتكوين دمه ، فيأخذ ذلك من دم أمه ، ويمكنها بذلك أن تحفظ ابنها - بإذن الله - من التشويهات الخلقية التي قد يتسبب فيها سوء التغذية .. وهكذا يتبين لنا أن النفقات القليلة التي تبذل في سبيل العناية بالأم الحامل وجنينها ، والمحاولات المتواضعة التي تبذل في سبيل توفير الجو النفسي المريح لها - أي الحامل - تعتبر ضئيلة جدا اذا قورنت بالمصاريف الباهظة التي تسخر في سبيل علاج اطفال مشوهين أو متخلفين عقليا واذا قورنت بالآلام النفسية والجسمية التي سيقاسيها هؤلاء الاطفال في حياتهم .
وهكذا يتبين لنا أن حقوق أطفالنا تبدأ قبل الولادة لا بعدها .

الصديق

بعد حادثة الاسراء والمعراج .. قال بعض الناس لأبي بكر - رضي الله عنه - هاهو ذاك - يقصدون الرسول صلى الله عليه

وسلم - يحدث به - أي بالاسراء - الناس . فقال أبو بكر : والله لئن كان قاله لقد صدق ، فما يعجبكم من ذلك ، فوالله انه ليخبرني أن الخبر ليأتيه من الله ، من السماء الى الأرض في ساعة من ليل أو نهار فأصدقه ، فهذا أبعد مما تعجبون منه .

ثم أتى رسول الله وسأله ، والرسول يجيبه ، وفي كل مرة يقول أبو بكر : صدقت ، أشهد انك رسول الله حتى اذا انتهى ، قال الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : وأنت يا أبابكر الصديق ، فيومئذ سماه الصديق .



للاستاذ/ محمد السيد على بلاسى

وسط غيوم في سماء المعرفة ، عاش عالمنا الاسلامي ، بعد مادهم التتار «بغداد » عاصمة الخلافة العباسية ، والقوا ما فيها من كتب في دجلة ، حتى غدت جسرا يعبرون عليه !

ولكن الله الذي تكفل بحفظ دينه ، والإبقاء على قرآنه هيأ الأزهر ليكون المكان الذي يشع منه نور الدين واللغة ، فقد لجأ إليه العلماء الفارون من وجه التتار ، حيث وجدوه مكانا صالحا لأداء رسالتهم . كما حبب الله الى سلاطين المماليك ـ حكام مصر في ذلك الوقت ـ أن يميلوا الى العلم ، وأن يقربوا العلماء ويغدقوا عليهم .

في هذه الحقبة من الزمن ، وبين الجلة من علماء هذا العهد وشيوخه ، نشأ صاحبنا السيوطي ،فتأثر بها ، وأثر فيها بمؤلفاته الستمائة في شتى علوم المعرفة ! فكان بحق ـ درة عصره ، وقمرا مضيئا لمن جاء بعده ..

نسبه ونشأته : هو عبد الرحمن جلال الدين بن الإمام كمال الدين خضير الأسيوطي . ولد سنة ٨٤٩ هـ ، وينتهي نسبه من جهة أبيه الى أصل فارسى ومن جهة أمه الى أصل تركي .. وقد ولد ـ رضي الله عنه.بمصر في مدينة اسيوط في الجانب الغربي من النيل

من نواحي الصعيد . وكانت تلك المدينة أعجوبة المتنزهات في جمال عمارتها ، وحسن سورها وبديع موقعها ، حتى أن الرشيد لما صورت له الدنيا لم يستحسن غير مدينة اسيوط ، لكثرة ما بها من الخيرات والمتنزهات ..! ويضيف المؤرخون الى ميلاد السيوطي حادثة طريفة لقب لأجلها بابن المكتب وهي : أن أباه كان من أهل العلم احتاج يوما الى مطالعة كتاب ، فأمر ام السيوطي بإحضاره من بين الكتب ، فذهبت لتأتي به ، فجاءها المخاض وهي بين الكتب ، فوضعته !

وقد نشأ السيوطي يتيما ، إذ توفي والده وهو دون السادسة من عمره ، فتكفله الشيخ كمال الدين بن الهمام ، وشمله برعايته وعنايته ..

حياته العلمية ومكانته : أتم السيوطي حفظ القرآن الكريم قبل أن يبلغ الثامنة من عمره ، ثم رحل الى القاهرة لطلب العلم ، فدرس العلوم وحفظ متون الفقه والنحو على يد علماء عصره ، من أمثال : العلم البلقيني ، والشرف المناوي ، ومحقق الديار

المصرية سيف الدين بن محمد الحنفي ولم يزل السيوطي يوالي القراءة والدرس حتى تزود بالثقافة التي تؤهله للتدريس ، فاشتغل به حينا ، وكانت دروسه محببة لطلابه ، لغزارة علمه . وشغل منذ شبابه بالتأليف وسنه سبعة عشر عاما ! وقد حببت الرحلات إليه ، واستفاد منها علما وثقافة .

وقد ترجم السيوطي لنفسه في كتابه « حسن المحاضرة » فقال: وسافرت بحمد الله - تعالى - الى بلاد الشام ، والحجاز ، واليمن ، والهند ، والمغرب ، والتكرور .

ولما حججت شربت من ماء زمزم لأمور ، منها أن أصل في الفقه الى رتبة الشيخ سراج الدين البلقيني ، وفي الحديث الى رتبة الحافظ ابن حجر .

ورزقت التبحر في سبعة علوم : التفسير ، والحديث ، والفقه ، والنحو ، والمعاني ، والبيان ، والبديع ، على طريقة العرب والبلغاء ، لا على طريقة العجم ، وأهل الفلسفة .

والذي اعتقده أن الذي وصلت إليه من هذه العلوم السبعة سوى الفقة والنقول التي اطلعت عليها ، لم يصل إليه ولا وقف عليه أحد من أشياخي فضلا عمن دونهم ، وأما الفقه فلا أقول ذلك فيه ، بل شيخى فيه أوسع نظرا ، وأطول باعا .

ودون هذه السبعة في المعرفة : أصول الفقه .، والجدل ، والتصريف ، ودونها الإنشاء والترسل ، والفرائض ، ودونها القراءات - ولم آخذها عن شيخ - ودونها الطب .

وقد اخترعت علم أصول اللغة اختراعا ولم اسبق إليه ، وهو على نمط علم الحديث ، وعلم أصول الفقه ، فسارت مصنفاتي وعلومي سير الشمس في سائر الأقطار ، فوصلت الى الشام والروم والعجم والحجاز واليمن والهند والحبشة . والمغرب والتكرور ، وامتدت إلى البحر المحيط .

وأما علم الحساب ، فهو أعسر شيء عليّ ، وأبعده إلى ذهني ، وإذا نظرت في

سألة تتعلق به فكأنما أحاول جبلا
حمله ، وقد كملت عندي آلات
لاجتهاد بحمد الله ، أقول ذلك تحدثا
نعمة الله تعالى ، لافخرا أو أي شيء
الدنيا حتى يطلب تحصيلها في
فخر ، وقد أزف الرحيل ، وبدا
شيب ، وذهب أطيب العمر ولو شئت
ن أكتب في كل مسألة مصنفا لها
قوالها وأدلتها النقلية والقياسية ،
مداركها ونقوضها وأجوبتها ،
لموازنة بين اختلاف المذاهب فيها ،
درت على ذلك من فضل الله ، لا
حولى ، ولا قوة إلا بالله ، ما شاء الله
قوة إلا بالله

و نظرنا إلى ما قاله السيوطى عن
سه نظرة جادة بعيدة عن منطق
هوى المتجرد ، لقلنا : إن السيوطي
بالغ بعض الشيء ، وبخاصة فيما
ه بأنه « اخترع علم أصول اللغة
تراعا ولم يسبق إليه » نقول
عيبين عليه : إن السيوطي قد سبق
هذا المجال ، بدليل أن عمدة كتبه في
سول اللغة هو « المزهر » ، وهذا
كتاب قد استقى معظم أبوابه من
ب السابقين عليه ، بل وبنى فصولا
ها ، من أمثال كتب علامة اللغة«ابن
ي » :
خصائص»،«وسر صناعة الاعراب»،
يرهما .. ، ودراسات « ابن فارس »
كتابيه :« مقاييس اللغة»
صاحبي» ..

كن الحق – والحق يقال – إن
سيوطي يعتبر رائد طور من أطوار
أليف في علم أصول اللغة ، إذ أنه
ع في أبواب هذا الفن ، ووسع في
اضه على غير ذي سابق ..

مؤلفات السيوطي : لقد زادت مصنفات السيوطى على الخمسمائة مؤلف ، فلقد عدّ له العلامة (فلوغل) ٥٦٠ مصنفا ، كما ذكره ابن إياس فيمن توفي في عصر الغوري وقال عنه : بلغت مؤلفاته ستمائة مؤلف ما بين رسالة محددة الموضوع وبين كتاب كبير ، في شتى مجالات المعرفة : في التفسير ، والقراءات والحديث ، والفقه ، والعربية ، والآداب ..

هذا الرقم القياسي لمؤلفات فرد واحد من العلماء ، حمل بعض الباحثين الى الشك فيه ، واستبعاد أن يكون ذلك الكم الهائل من المؤلفات له ، بل إن منهم من زعم أن كثيرا من هذه الكتب إنما هي لشيوخ السيوطي نحلها لنفسه بعد ان غير فيها قليلا ، وربما أخذ من كتب المكتبة المحمودية وغيرها كثيرا من التصانيف المتقدمة التي لاعهد لكثير من العصريين بها ، فغير فيها يسيرا ، وقدم وأخر ، ونسبها لنفسه ، وهوّل في مقدماتها بما يتوهم منه الجاهل شيئا مما لا يوفي بحقه ..

وهى دعوى من غير دليل ، ومن باب الانصاف للحق نرد عليها بما يلى :

١ – إن صاحب هذا الزعم هو السخاوي – صاحب كتاب الضوء اللامع – ذلك الرجل الذي حمل لواء الثورة على السيوطي ، نظرا لما كان بينهما من المنافسة والخصومة

مما جعل السيوطي يجرد نفسه للتشهير به في رسالة اسماها : (مقامة الكاوى على تاريخ السخاوي)

٢ – لم يصلنا أن أحدا من العلماء المحققين ذكر أن هناك كتابا نسبه

السيوطي الى نفسه وهو ليس من تأليفه ..

٣ ـ إن الكثير من كتب السيوطي يقع في رسائل صغيرة ، قال عنها السخاوي نفسه : « رأيت منها ما هو في ورقة ، وأما ما هو فوق الكراسة فكثير » مما لا يستبعد أن يكون هذا العدد الوافر من الكتب للسيوطي .. .

٤ ـ ليس غريبا ان يكون للسيوطي هذا الكم الهائل من المؤلفات ، حيث إنه كان آية كبرى في سرعة التأليف ، حتى قال تلميذه الداودي : عاينت الشيخ وقد كتب في يوم واحد ثلاثة كراريس تأليفا وتحريرا ، وكان مع ذلك يملى الحديث ويجيب عن المتعارض منه بأجوبة حسنة

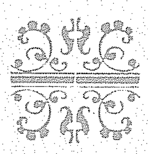
ومهما يكن من شيء فإن للسيوطي مؤلفات لم يتطرق الشك في صحة نسبتها إليه ، وهي في ذاتها تعد مفخرة من مفاخر التأليف والتصنيف ، منها الاتقان في علوم القرآن الكريم ، والمزهر في علوم اللغة ، وهمع الهوامع ، والأشباه والنظائر في النحو ، وبغية الوعاة في تراجم النحاة ، وأسباب النزول ، وغير ذلك مما يجعل السيوطى في مقدمة العلماء والمصنفين ..

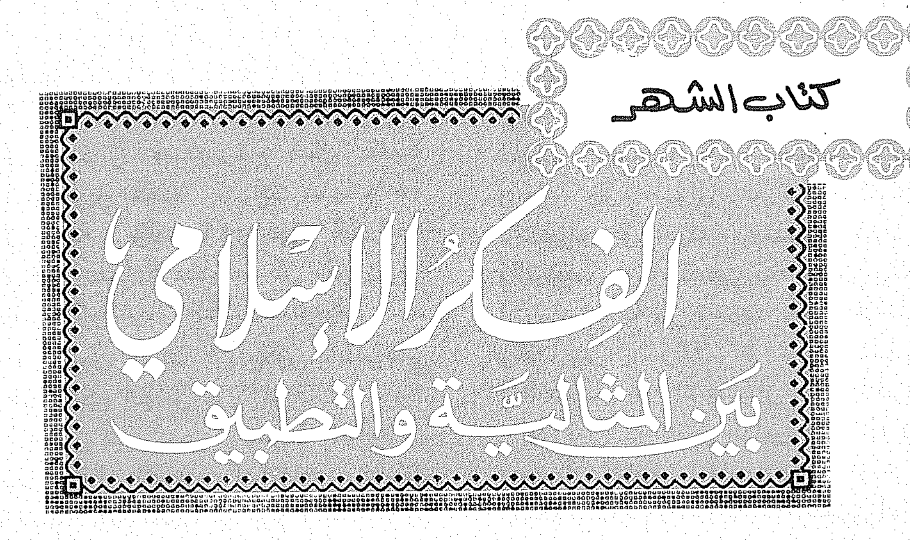
مناصبه : تنقل السيوطى في العديد من المناصب ، حيث تولى التدريس في المدرسة الشيخونية التي كان يشغلها أبوه ، وفي سنة تسعمائة واثنين عهد إليه الخليفة المتوكل بوظيفة لم يسمع ، بمثلها قط ، حيث جعله على القضاة قاضيا كبيرا يولي من يشاء ويعزل من يشاء مطلقا في سائر ممالك الاسلام ! ، كما ولى المشيخة في مواضع متعددة في القاهرة ..

زهده في الدنيا : ومع أن السيوطى ترقى الى اعلى المناصب ، إلا أنه كان عفيف النفس كريما ، صالحا تقيا ورعا ، ظل طوال عمره مشتغلا بالتدريس والفتيا ، متفرغا للعلم والتأليف ، ولما تقدمت به السن وبلغ الأربعين سنة من عمره ، هجر الإفتاء والتدريس ، وألف في ذلك كتابه (التنفيس في الاعتذار عن الفتيا والتدريس) واعتزل الناس في منزله في روضة المقياس متجردا للعبادة والتصنيف فلم يتحول عنها حتى وافاه الأجل المحتوم . وكان الأمراء والأغنياء يأتون لزيارته ويعرضون عليه أعطياتهم وهباتهم النفيسة فيردها !

روى ان السلطان الغوري أرسل إليه مرة خصيا وألف دينار ، فرد الدنانير وأخذ الخصي وأعتقه وجعله خادما في الحجرة النبوية ، وقال لرسول السلطان : لا تعد تأتينا قط بهدية ، فإن الله أغنانا عن مثل ذلك !

وفاته : وكانت وفاة السيوطي سحر ليلة الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وتسعمائة ، بعد أن مرض سبعة أيام بورم شديد في ذراعه الأيسر ، وقد استكمل من العمر إحدى وستين سنة وعشرة أشهر وثمانية عشر يوما . رحم الله السيوطى





تأليف : كامل الشريف

عرض وتحليل : محمود بيومي

مقدمة

تاب الذي نتناوله اليوم بالعرض
تحليل .. هو كتاب « الفكر
سلامي بين المثالية والتطبيق »
فه الاستاذ كامل الشريف وزير
قاف والشؤون والمقدسات
سلامية السابق بالمملكة الاردنية
اشمية - وأحد كبار المفكرين
سلمين في العالم العربي .

تضمن الكتاب اثنى عشر فصلا
لت (٢٥١) صفحة من الحجم
وسط .. تحدث فيها الكاتب عن
ر الاسلامي في المجتمع المعاصر
فكار والاصلاحات الاساسية
لة العمل الاسلامية وغيرها من
ضوعات الهامة التي نعرض لها .

○ منهج البحث ○

تجاوز المؤلف عن عمد الخوض المفصل في البديهيات المعلومة .. كالحديث عن عظمة التشريع الاسلامي .. لأن هذه الحقائق محل اقتناع وتسليم .. ووضع لنفسه منهاجا ركز فيه على مؤسسات ومشروعات اسلامية محددة .. دعا للأخذ بها وتنفيذها .. انطلاقا من أن المجتمع الاسلامي بحاجة لان يخرج من عموميات الفكرة .. وأن يبدأ في التنفيذ أو التطبيق من أي نقطة - مهما بدت متواضعة - استنادا الى ان الممارسة العملية عبر المؤسسات ..

هي وحدها التي يمكن ان تنقل الفكر الاسلامي الى دنيا الواقع .. وتعزز ارتباط الناس بالعقيدة الاسلامية من خلال التأثير في حياتهم اليومية .

○ النظرية الاسلامية ○

ويرى المؤلف .. ان العمل وحده هو الذي يثري الفكرة ويمنحها التجربة وفرص الحياة .. وأن النظرية الاسلامية بالذات قد حيل بينها وبين الممارسة قرونا طويلة .. وقامت بينها وبين حياة البشر .. العوائق والسدود حتى اصبحت تاريخا يقرأ .. لا واقعا يحياه الناس .. ويمكن ان تظل النظرية الاسلامية كذلك .. اذا لم تدخل ميدان التجربة العملية .. لتحتل المواقع التي فقدتها شيئا فشيئا .. وذلك بالشروع في تحقيق الممكن ومن اي زاوية متاحة .. ثم تطوير الانجاز الى آفاق جديدة .. لتصارع الافكار المعادية للاسلام بأسلوب عملي .
ومن هنا .. فإن واجب الدعاة ان ينتهزوا كل فرصة سانحة .. لنشر الدعوة الاسلامية وكسب القلوب من حولها .. وطرح البدائل في مؤسسات وكيانات وتشريعات مؤثرة تحد من الشر وتدعم نزعة الخير وتزاحم تيارات السوء بقوة الحق ونور اليقين .

○ مواجهة التحديات ○

ويرى الأستاذ كامل الشريف : ان الظروف المحيطة بنا لا تساعدنا على إضاعة مزيد من الوقت الثمين في الجدل والخلاف عما يجب ان نفعله لمواجهة التحديات الخطيرة التي تحيط بنا .. ذلك لأننا نتعرض لسلسلة من المؤامرات التي تستهدف كياننا الاسلامي وثرواتنا .. ولابد من القيام بخطوات سريعة ومتلاحقة .. حتى تجتمع كلمة الامة الاسلامية على الحق الواضح والطريق السوي في مجال العمل الاسلامي .. وذلك بالارتباط بالمباديء السامية التي ارتبط بها اسلافنا .. فعزوا وسادوا وخلفوا لنا تراثا عظيما واوطانا شاسعة .. هي أمانة في اعناقنا .. ويجب ان نعمل كل جهدنا لتسليمها الى ابنائنا .

○ تنشيط الفكر الاسلامي ○

ويرى المؤلف ضرورة العمل الجاد لتقوية العقيدة الاسلامية في نفوس المسلمين وتنشيط الفكر الاسلامي بكافة الوسائل المشروعة والمتاحة .. وان ذلك أمر حتمي .. وبدونه سوف يستمر المجتمع الاسلامي في التأثر بالتيارات الخارجية .. فلابد ان نجمع الناس على استيعاب التراث الاسلامي عقيدة وثقافة وتاريخا وواقعا معاصرا .. وفق برامج منسقة في التعليم والاعلام .

كما يرى ان كل محاولة للاصلاح الاجتماعي او التنمية الاقتصادية .. يجب ان ترتبط بالمفاهيم الاسلامية الصحيحة .. لأن ذلك يقوي التزام المسلم بالفكر الاسلامي ويثبت عمليا ارتباطه بالحياة المعاصرة .. كما يسد المنافذ على الأفكار الاجنبية المعادية ..

وهذا يتطلب ان تعنى كل مؤسسة في ديار المسلمين بوضع الإطار الفكري العقائدي لمشاريعها العملية .

○ تأكيد القيم الاسلامي ○

ومن الضروري إعطاء عناية اكبر للاخلاق العامة .. ووضع القيود امام مظاهر الانفلات .. والاتجاه نحو تأكيد القيم التي يدعو لها الاسلام .. كالحد من مظاهر الترف وضرب الفساد الاجتماعي والخلقي وتشجيع أعمال الخير والبر وغير ذلك من المباديء والقيم السامية .. والمشاركة النشطة والايجابية في الجهود التي ترمي الى تحقيق تضامن أوثق بين الدول والشعوب الاسلامية ، إلى جانب الاهتمام بالتعريف بالشعوب الاسلامية وعرض قضاياها في البرامج الاعلامية والتعليمية .

○ حيوية الدعوة الاسلامية ○

ان الاسهام في تنظيم وتنشيط المجهودات التي تبذل .. لتقوية الدعوة الاسلامية في البلدان الخارجية خصوصا في افريقيا وآسيا يؤكد على حيوية الدعوة الاسلامية ويرسي معاني الاخوة الاسلامية العالمية .

ولاشك ان الاتفاق على حد أدنى للتعاون بين المؤسسات يمكن أن يحقق فوائد هامة ويتفادى أضرارا كثيرة .. ويعمل على إيجاد أرضية فكرية وعقيدية .. من شأنها تقليص التناقضات الفكرية لدرجة كبيرة .

○ المناخ الفكري الموحد ○

وبذلك يتهيأ المناخ الفكري الموحد لتضييق الفرص امام الافكار والمباديء المعادية للعقيدة المحمدية .. كما يعمل على إغلاق الفجوة القائمة بين بعض التجمعات الاسلامية من ناحية .. وبعض الشباب الذي تغرب وتثقف بالثقافة الغربية من الناحية الاخرى .. وذلك بسبب التطرف والمغالاة في الحالة الاولى .. والميل المتفلت نحو التقليد الأعمى للحضارة الغربية في الحالة الثانية .. وما يتبع هذه الفجوة من خلاف وتنافر تستفيد منه الحركات المعادية للاسلام والمسلمين .

فالاتفاق على الحد الادنى في العمل الاسلامي .. لا يعني إضعاف اي نشاط اسلامي فكري بل يسعى نحو تحقيق المزيد من الخير في مجالات التشريع او العبادة او الاخلاق .. طالما كان اسلوب الدعوة يعتمد على الحكمة والمنطق السليم .. وليس على أسلوب التهجم او التشهير .

○ الموقف الاسلامي الراهن ○

هناك أسباب عديدة تجعل المسلم موصولا بعقيدته .. حريصا على الوفاء بالتزاماتها .. مستعدا للاصغاء لأية دعوة تدعو اليها .. وهذه الاسباب قد تكون دينية خالصة تتعلق بذلك الميل الأزلي نحو اتصال المخلوق بالخالق تبارك وتعالى وابتغاء الثواب لديه .. وهناك اسباب خاصة عديدة

تتعلق بالمسلم .. حيث تتفاعل العقيدة مع التاريخ .. في تحريك اشواق المسلمين للماضي بكل ما يمثله من القوة والمجد والشموخ .. وخصوصا في المرحلة المعاصرة التي اتسمت بالهزائم والضعف .. واصبح من المألوف التذكير بالمعادلة القائلة .. بأن التمسك بالاسلام .. هو الذي ادى الى انتصارات الماضي .. وان التخلي عنه ادى الى الضياع .

فالاصلاحات الاجتماعية قد اصبحت الآن مادة اساسية في العمل الاسلامي .. بعد ان ثبت يقينا ان الفلسفات الغربية لم تحقق الاهداف المرجوة بل ادت الى نكسات وقد ادى ذلك الى ايجاد فراغ عقيدي واضح تزحف العقيدة الاسلامية لاحتلاله مزودة باسلحة يلتقي فيها الدين والتاريخ والانتماء الى الامة الاسلامية .

○ الانتماء الاسلامي وتأثيره ○

من الضروري وضع خطة تكفل تقليص السلبيات وزيادة الايجابيات في العمل الاسلامي .

فليس هناك حدود حاسمة بين الوضع الداخلي او الوضع الخارجي عند دراسة الانتماء الاسلامي .. ومن **اسباب ذلك** :

- وحدة الانتماء ووحدة المصدر التشريعي والتاريخي ووحدة الآمال والتطلعات .

- الشعائر والمناسبات الاسلامية التي تزيد في الشعور بالوحدة كالحج والصيام والأعياد وغيرها .

- التأييد التلقائي الذي يبرز لدى المسلمين عندما تتعرض دولة اسلامية للكوارث الطبيعية او الهزات السياسية .

العالمية ودورها في مصائر الشعوب الصغيرة .. يدفع المسلم الى التفكير في

معالم الكتلة التي ينتمي اليها .. وهذا يقوده الى التفكير في التضامن الاسلامي .

وبذلك لا يمكن العزل بين ما يقع في قطر اسلامي وبين الصورة الاسلامية

العامة .. وامام هذه المرتكزات لايمكن ان نهمل التيارات التي تؤثر في البلاد الاسلامية .

○ المثالية والواقع ○

بمجرد ان تنتعش الحركة الاسلامية ، كثيرا ما تطالب بسرعة

تنفيذ الحد الاعلى من الشريعة الاسلامية .. دون النظر الى واقع المجتمع ومدى استعدادته وطبيعة

الحقائق القائمة التي تؤثر في مؤسساته وهذه الدعوة رغم انها صحيحة من الناحية الشرعية المحضة .

الا أن عدم امكانية الأخذ بها بصورة فورية يؤدي الى احد امرين في رأي المؤلف **هما** :

● إما الإحراج والمصادمة مع الاوضاع الاجتماعية القائمة اذا لم تكن الحركة الاسلامية في مقعد المسؤولية .

● وإما اللجوء الى اتخاذ اجراءات قسرية في الداخل وانتقاد شديد في الخارج .

○ المرحلية في العمل الاسلامي ○

ويعرض الاستاذ كامل الشريف : ضرورة الاتفاق على اتباع منهج « مرحلي » لنقل المجتمع نحو الاخذ بالفكر الاسلامي والحياة الاسلامية .. وتحقيق معادلة معقولة بين أصالة الفكرة وحقائق وظروف المجتمع الحديث .

○ حماية المجتمع الاسلامي ○

إن الاسهام النشط في معالجة المشكلات القائمة .. يجب ان يوجه

لإيجاد صيغة تحقق المواءمة بين العقيدة الاسلامية والحياة اليومية وبين النظرية المجردة والممارسة

الفعلية .. وذلك من اجل حماية المجتمع الاسلامي من عوامل التفرقة والتمزق ومن تأثير الحركات والتيارات

الاجنبية التي تفتك بالعقيدة والأخلاق .. وتضعف مناعة المجتمع الاسلامي أمام الغزو الثقافي .

ومما لاشك فيه ان الفكر الاسلامي قد خطا خطوات واسعة في السنوات الأخيرة .. حتى امتلأت المكتبات

بالدراسات الاسلامية في السياسة والادارة والتربية والاقتصاد

وغيرها .. الا ان هذه الحركة الفكرية الواسعة لم تحقق نجاحا كبيرا في نقل

المجتمعات الاسلامية نحو استئناف حياة اسلامية معاصرة .. وبقيت الفجوة الخطرة بين الفكر والممارسة قائمة .

○ نحو مؤسسات إسلامية ○

ويرى المؤلف : أن السبيل الى التقريب بين الفكر والممارسة وردم

الفجوة بينهما .. هو وجود خطة للتطور « **المرحلي** » تشترك فيها الأجهزة الرسمية والمؤسسات

والحركات الثقافية والفكرية .. وهي خطة تجمع بين الولاء للعقيدة والتراث والاتصال المفتوح مع أساليب العصر ومنجزاته ومعارفه .. وذلك إذا أردنا ان نحمي مجتمعاتنا من التميع وفقدان الشخصية ومن القلق .. ومن هنا أن نجد من الضروري إقامة مؤسسات ترتكز على الفكر الاسلامي والشريعة الغراء في جميع المجالات ..

فتعنى مؤسساتنا الفكرية بإعداد الدراسات التي تؤدي لاقامة مؤسسات عامة في كل الحقول ..

دراسات تبدأ بالبحوث في النظرية وابراز جذورها في الشريعة الاسلامية .. وتنتهي بوجودها كحقيقة قائمة في المجتمع .. تتفاعل معه وتؤثر فيه

الفتاوى

استعمال المال الحرام في الطاعات

موظف يسأل قائلا لي زميل كسبه حرام بدأ في بناء مسجد ونوى على الحج ولما ناقشته في ذلك قال : هذا لا يضر مادام في طاعة الله ! ومادامت النية حسنة ! فما الحكم ؟

من المعلوم ان حسن النية لا يجعل الحرام حلالا ولا يجوز بحال من الاحوال ان يكون الحرام وسيلة الى غاية محمودة لان الاسلام يحرص على شرف

الغاية ومشروعية الوسيلة معا فمن جمع مالا من حرام ووضعه في طاعة او اقام به مشروعا خيريا لا ينفعه ذلك ولا يرفع عنه الوزر لان الله لا يقبل الا

الطيب من العمل كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ان الله طيب لا يقبل الا طيبا وان الله امر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال « يا ايها الرسل

كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم » وقال"يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم". ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر

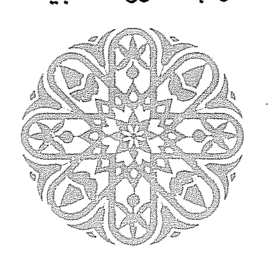
ساعيا للحج والعمرة ونحوهما ـ يمد يديه الى السماء يارب .. يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وغذى بالحرام فأني يستجاب لذلك ـ ويقول

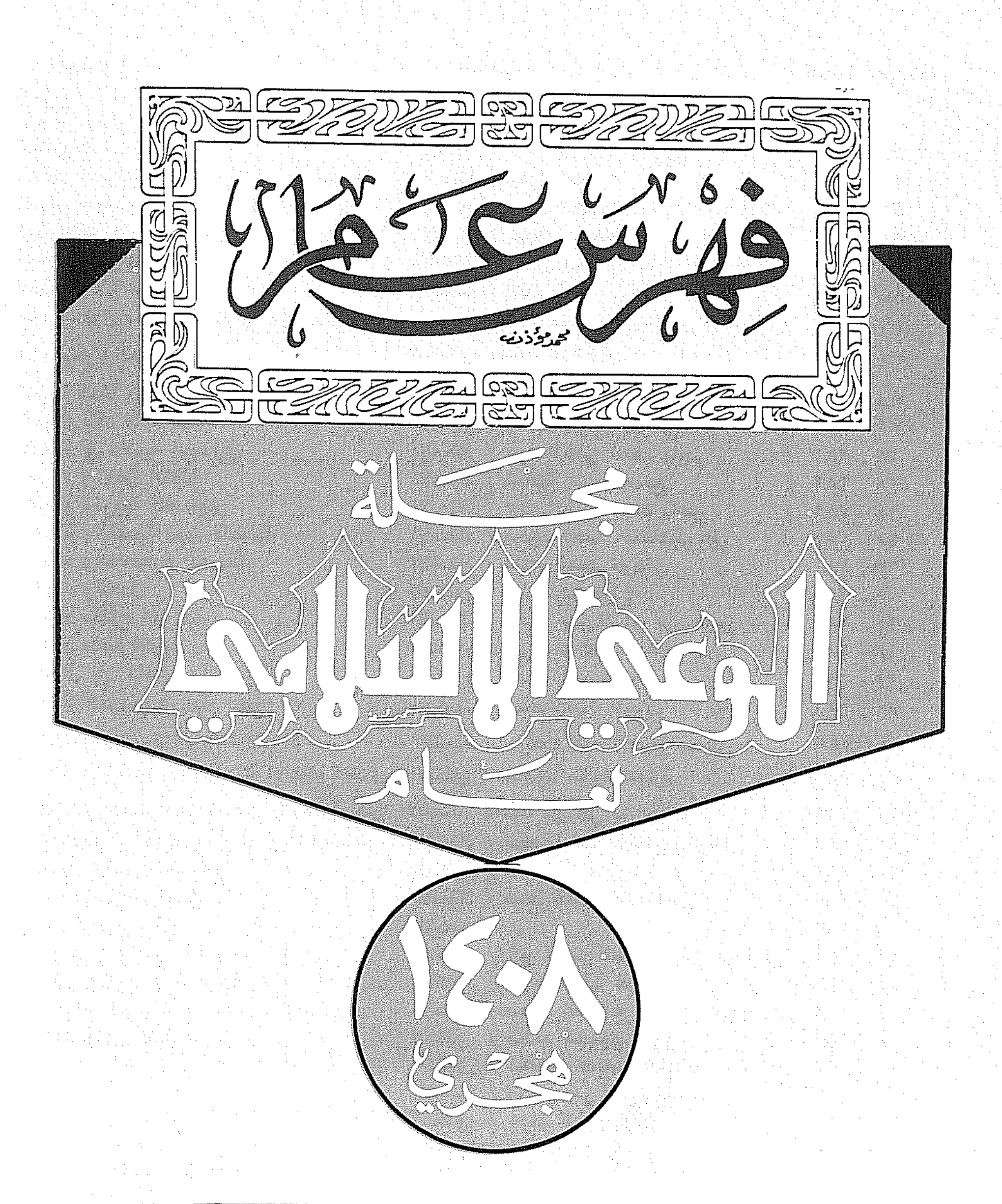
ايضا : من جمع مالا من حرام ثم تصدق به لم يكن له فيه اجر وكان إصره عليه ـ وبهذا فالكسب الحرام مهما استعمله صاحبه في خير او طاعة ، فالله لا يقبله وسيحاسبه عليه حسابا عسيرا وروى عن ابي هريرة رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : اذا خرج الحاج حاجا بنفقة طيبة ووضع رجله في الغرز ـ يعني الركاب ـ فنادى لبيك اللهم لبيك ناداه مناد من السماء لبيك وسعديك ، زادك حلال وراحلتك حلال وحجك مبرور وغير مأزور واذا خرج بالنفقة الخبيثة فوضع رجله في الغرز فنادى لبيك ناداه مناد من السماء لا لبيك ولا سعديك زادك حرام ونفقتك حرام وحجك مأزور غير مأجور ـ رواه الطبراني في الاوسط .

نقل الكلى وانشاء بنك لذلك

مريض بالكلى اسمه محمد السويفي من امبابة بمصر ارسل يقول اعاني من مرض الكلى وتقرر لي نقل كلية ولم اجد من يتبرع لي من اجلي وليس عندي مال اعطيه لشخص اجنبي ما ليتبرع لي بكليته فهل هناك مانع من انشاء بنك يوفر كلى الاموات في الحوادث لاسعاف المرضى الفقراء ؟

انشاء مثل هذا البنك وبيان مدى فائدته هو من اختصاص رجال الطب إذ هم اهل المعرفة في مدى صلاحية الكلية المنقولة من الميت ، وهم ادرى الناس بجدوى قيام مثل هذا البنك ومدى صلاحية الكلية التي تحفظ فيه الى غير ذلك من سلبيات وايجابيات - اما النقل من حيث هو نقل فقط ومن حيث الجواز وعدمه فيمكن القول بان المنقول منه إما ان يكون ميتا او حيا ، فان كان ميتا وقد اوصى او اعطى اذنا بهذا النقل فلا مانع من النقل شرعا - حيث لا يوجد دليل صريح في التحريم اما اذا لم يكن الميت قد اذن بذلك من قبل فالامر يتوقف على اذن الاولياء ان اذنوا جاز النقل وان لم يأذنوا فلا يجوز وفي حالة جواز النقل من الميت لابد من معرفة راي الاطباء في مدى الانتفاع بكليته فاذا كانت لا تؤدي وظيفتها فالنقل يعتبر عبثا بالميت وايلاما للحي من غير موجب اما النقل من الحي المتبرع باحدى كليتيه فهو جائز اذا لم يلحق النقل به ضررا في صحته فان لحقه ضرر بذلك امتنع الجواز ولو اذن به كما لايجوز النقل بغير اذنه ولو تم النقل بغير علمه وجب له العوض كما هو مفصل في باب الديات في كتب الفقه ويلاحظ التأكد من تحقق الغاية من النقل ومدى انتفاع المنقول اليه بذلك . نقل احدى الكليتين من الحي جائز ان توقف عليه اسعاف وانقاذ حياة انسان اخر بالشروط المبينة .





السنة الرابعة والعشرون

فهرس الموضوعات

كلمة الوعي
لرئيس التحرير

وقفة تأمل
للأستاذ فهمي الإمام

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
مكتبة المجلة	للتحرير	٢٧٧	١٢٢
		٢٨٠	١١٨
بأقلام القراء	للتحرير	٢٧٩	١٢٣
الى السادة كتاب المجلة	للتحرير	٢٧٧	١٣٠
		٢٨١	١٣٠
		٢٨٢	١٣٠
اخبار العالم الاسلامى	للتحرير	٢٧٨	١٢٣
		٢٧٩	١٢٧
		٢٨٢	١٢٤
		٢٨٣	١٢٦
		٢٨٤	١٢٦
		٢٨٦	١٢٢

مائدة القارئ - للتحرير

العدد	الصفحة	العدد	الصفحة	العدد	الصفحة
٢٧٧	٦٢	٢٨٢	٦٨	٢٨٦	٦٦
٢٧٩	٨٢	٢٨٣	٦٠	٢٨٧	٦٦
٢٨٠	٧٠	٢٨٤	٦٦	٢٨٨	٦٦
٢٨١	٦٦	٢٨٥	٦٦		

كتاب الشهر

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
أهداف التغريب	الأستاذ/ عبدالرحمن البجاوي	٢٨٦	٥٤
الفكر الاسلامي بين المثالية والتطبيق	عرض الاستاذ/ محمود بيومي	٢٨٨	١١٠
الكشاف عن حقائق التنزيل	الأستاذ/ محمود الشرقاوي	٢٨١	١١٢
كيف نفهم اليهود ؟	الأستاذ/ فؤاد نصرالدين حسين	٢٧٨	١١٠
محمد الرسول والرسالة	الأستاذ/ فاروق حسان	٢٧٧	١٠٠
المخدرات من القلق إلى الاستعباد	الأستاذ/ أحمد محمود أبو زيد	٢٨٤	١٠٨
المنقذ من الضلال	الاستاذ/ الاحمدي عبدالمقصود	٢٨٧	١١١
مقومات العمل الاقتصادي الاسلامي	الأستاذ/ محمد منير الجنباز	٢٨٢	١١٤
هكذا ظهر جيل صلاح الدين الأيوبي	الأستاذ/ عبداله خليل شبيب	٢٨٣	٦٢
الوحدة والتنوع في التربية	الأستاذ/ محمود بيومي	٢٨٠	٩٨

قصص ومسرحيات

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
التحدى (مسرحية)	الدكتور/ عماد الدين خليل	٢٧٩	١٠٠
أزمة ضمير (قصة)	الأستاذ/ أحمد محمود مبارك	٢٨٦	٦١
أهل الكهف (مسرحية)	الأستاذ/ هاشم محمد أحمد	٢٨٤	١١٦
أكرم العرب (مسرحية)	الأستاذ/ سامى عبدالوهاب	٢٨٠	١٠٦
مالك الحزين « قصة »	الاستاذ/ أسامة سعد عبدالله	٢٨٧	١١٨

القصائد

شخصيات

قرأت لك

للتحرير

كلمات وأحاديث

استطلاعات

الفتاوى



فهرس الكتاب

الكاتب	الموضوع	العدد	الصفحة
الدكتور / عبدالفتاح محمد سلامة	مقومات الحركة الاسلامية من منظور قرآني	٢٨٦	١٤
الأستاذ / عبدالله خليل شبيب	هكذا ظهر جيل صلاح الدين (كتاب الشهر)	٢٨٣	٦٢
الأستاذ / عبدالله الطنطاوي	الى الشباب : عبدالرحمن الكواكبي (شخصية العدد)	٢٨٣	١٠٤
الدكتور / عبدالمنعم عبدالله حسن	هلال الصوم (قصيدة)	٢٨٥	٣٤
الدكتور / عز الدين فراج	الاسلام والعمل	٢٧٨	٨
الدكتورة / عزيه علي طه	من افتراءات المستشرقين	٢٨٢	٢٠
الدكتور / عماد الدين خليل	حول أدب الغموض (الجسور المقطوعة)	٢٧٧	١١٥
الدكتور / عماد الدين خليل	البطولة في مستوياتها العليا	٢٨٣	١١١
الدكتور / عماد الدين خليل	التحدي (مسرحية)	٢٧٩	١٠٠
الدكتور/ عماد الدين خليل	بلاشير وجماليات الاسلوب القرآني	٢٨٨	١٤
الأستاذ / عماد محمد اسماعيل	مراحل نمو الفقه الاسلامي	٢٨٥	٢٧
الأستاذ / عماد الدين محمود	وجود الله بين العلم والقرآن	٢٨٠	١٠
الأستاذ / علي محمد محاسنة	على اعتاب طيبة (قصيدة)	٢٨٠	٩٦
الأستاذ / عمر بهاء الدين الأميري	نظرات في المجتمع الاسلامي المعاصر	٢٧٧	١٨
الأستاذ / فاروق حسان	محمد الرسول والرسالة (كتاب الشهر)	٢٧٧	١٠٠
الأستاذ / فؤاد نصرالدين حسين	كيف نفهم اليهود (كتاب الشهر)	٢٧٨	١١٠
الدكتور / كارم السيد غنيم	الايمان بالغيب في مواجهة المادية	٢٧٨	١٣
الاستاذ/ كمال عبدالكريم الوحيدي	رماة الحجر « قصيدة »	٢٨٨	٨٢
الأستاذ / ماجد أحمد مومنى	حقوق الانسان في الاسلام	٢٧٨	٢٧
الأستاذ / ماجد أحمد مومنى	الاسلام والحضارة الغربية	٢٨٠	٦٣
الأستاذ / مجدي عبدالفتاح سليمان	الأمن الغذائي في ضوء توجيهات الاسلام	٢٨٦	٤٢
الأستاذ / محمد أحمد اسماعيل على	الاسلام والتنمية دون علمانية	٢٨٤	٤٠
الدكتور/ محمد احمد العزب	الاعجاز القرآني في آية الحج	٢٨٨	٣٦
الدكتور / محمد اياد العكاري	الوعد الحق (قصيدة)	٢٨٤	٣٩
الأستاذ / محمد بدرالدين بن حسن	المسلمون وتحديات العصر	٢٧٨	٦٤
الأستاذ / محمد بدرالدين بن حسن	بصائر القرآن	٢٨٠	١٦
الأستاذ / محمد بدرالدين بن حسن	الاسلام مفتاح الموقف	٢٨٤	٢٤
اللواء أ .ح/ محمد جمال الدين محفوظ	اول اسطول بحري في تاريخ المسلمين	٢٨٨	٥٢
اللواء / محمد جمال الدين محفوظ	هل نعرف اعداءنا ؟	٢٨٢	٦٢
اللواء / محمد جمال الدين محفوظ	غزوة فتح مكة	٢٨٥	١٨
الدكتور / محمد الدسوقي	ابن الصلاح والمنهج النقلي (٢)	٢٧٧	٤٨
الدكتور / محمد الدسوقي	الشريعة والفقه	٢٨١	٢٨
الدكتور / محمد الدسوقي	دعائم الأخلاق في الاسلام	٢٨٢	٩٥
الدكتور / محمد الدسوقي	خصائص الفقه الاسلامي	٢٨٦	٣٥
الدكتور/ محمد الدسوقي	الاحصار والهدى	٢٨٨	٢٦
الأستاذ / محمد الدسوقي محمد	هل نرحم أنفسنا ؟	٢٧٩	٥٠
الأستاذ / محمد الدسوقي محمد	حوار مع الدكتور عبدالله التركي	٢٨٣	٨٤
الأستاذ / محمد الدسوقي محمد	القرآن الكريم . تأثيره في الخصوم وفضله على اتباعه	٢٨٥	١٠
الأستاذ / محمد رجاء حنفي	الصراع بين العقل والغرائز	٢٨٢	٣٨



« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا . وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

★ مصر : القاهرة ـ مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء .

★ السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص . ب (٣٥٨) .

★ المغرب : الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية للتوزيع والصحف تلفون : 245745 .

★ تونس : الشركة التونسية للتوزيع ـ 5 شارع قرطاج ـ ص.ب : 440 .

★ الأردن : عمان ـ وكالة التوزيع الأردنية : ص . ب (٣٧٥) .

★ المملكة العربية السعودية : الرياض/ مؤسسة الجريسي للتوزيع ـ ص .ب : ١٤٠٥ ت : ٤٠٢٢٥٦٤ ـ ٤٠٢١٠٧٦

جدة/ مؤسسة الجريسي ـ ص . ب : ٨٠٧٠ ـ ت : ٦٨٢٦١٠٥

الدمام/ مؤسسة الجريسي ت : ٨٢٧١٨١١

★ سلطنة عمان : مسقط ـ وكالة مجان ـ ص.ب : ٧٩٦ ـ تلفون : ٧٠٠٢٤٦ .

★ دبي : مكتبة دار الحكمة / ص . ب : ٢٠٠٧ تلفون : ٢٢٨٥٥٢ .

★ البحرين : المنامة ـ مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص . ب : ٢٢٤ ـ تلفون : ٢٦٢٠٢٦ .

★ أبو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر .

★ اليمن الشمالي : دار القلم للنشر والتوزيع والاعلان ـ شارع علي عبدالغني ـ صنعاء ـ ص . ب : ١١٠٧ .

★ قطر : دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ـ الدوحة ـ ص . ب : ٥٢ ـ تلفون : ٤٢٥٧٢٣ .

○ الكويت○ : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ـ ت : ٤٢١٤٦٨ .

ونوجه النظر الى أنه لايوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة .



طبع في مطابع دار السياسة ـ الكويت